سبعة أبواب مغلقة

سبعة أبواب مغلقة

رواية

منار محمود زيتونة

سبعـة أبـواب مغلقـة

روايـــــة

اسم الكاتبة: منار محمود زيتونة
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: عبير محمد
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى
رقم الإيداع: ١٤٥٧٢ / ٢٠١٨
طبعت بمطبعة الشروق

حقوق التوزيع

Facebook.com/arabiclibrary2017

فيلا فخمة بقبّة مزخرفة ذات لون فضي، تحيط بها ساحة شاسعة خضراء في قرية صغيرة، تبعد عن وسط المدينة ما يقارب أربع ساعات ونصف.. قليلة السكان والمواصلات، تقليدية جداً تغلب عليها الأراضي الزراعية والفلاحين، حتى الخدمات كانت شِبهَ معدومة بالمقارنةِ مع المدينة، كانت أحياؤها بسيطة وشوارعها قليلة وضيقة، بعضها واضح والآخر مُغَلْغَلٌ بين البساتين، متاجرها بسيطة أيضاً تحمِلُ بضائِعَ رخيصة الثمن نسبياً.

كل شيء هنا هادئ بروتين مملّ وكل شخصٍ مكتفٍ بنفسه، فالاجتماعيات هنا، ولسببٍ ما؛ ليست محبَّذة، لا يعرف السبب كثيراً إلا أنهم اعتادوا على هذا منذ زمن قديم، رغم ذلك كان أهل القرية ودودين محافظين، يعاني أكثرهم من الجهل وتصديق الخرافات والتمائم وغيرها من ذلك، يستطيع أي شخصٍ ذو علم -وإن كان بسيطا- العبثَ بعقولهم و إقناعهم بما يشاء.

كان السيد (س) يقطن مع خادمته العجوز السيدة (ن) ذات الشعر الفضي والبنية الممتلئة، قصيرة القامة ضخمة الرأس والكفين، عاشت معهم منذ زمنٍ طويل، اعتادت على الفيلا والسيد (س) ربّته

وكانت عاكفة على رعايته منذ نعومة اظفاره، أما عن أمه فقد اختفت فجأة بشكل غامض كما اختفى والده أيضاً عندما كان بسن صغيرة وكان يبلغ من العمر في وقتها أربع سنوات فقط .

على كرسي هزاز خشبي بني اللون جلس السيد (س) بِاسترخاء وسيجارته بيده تحترق، كان يفكر كالعادة في تلك النقاط المجهولة التي لم يجد لها جوابا، وترفض السيدة (ن) بشكل مستمر الإجابة عنها والتهرُّب منها، أين أمي؟ لم اختفت وكيف؟ ثم كيف يحدث أن لا أعلم أي أمر عن والدي؟

تلك الذاكرة المشتتة لدي، ما سر تلك الغرفة يا ترى؟

في كل مرة أسأل فيها السيدة (ن) تتجاهلني، امممم.. إنه أمر مزعج حقاً، لو كنت في ذاك الوقت أكبر قليلاً؛ لكنت تذكرت ما حدث وما كنت اليوم بحاجتها لإخباري شيئا!

رن هاتفه بنغمة عالية بعض الشيء، تقليدية إلى حد ما، أمامه، مقاطعاً عليه سلسلة أفكاره، إنه رقم مجهول!

تجاهله في المرة الأولى والثانية والثالثة، لم يكن بمزاج يساعده على التكلم مع أحد، حتى تأتيه بعد ذلك رسالة عليه تقول: مرحبا سيد (س) بلغني أنك تبحث عن مستأجر لغرفة لديك في الفيلا، أرجو منك إطلاعي على التفاصيل كما أرجو أن تحدد وقتا ملائما؛ كي أستطيع رؤيتها وشكراً لك. (السيد (هـ)).

تأمل الرسالة التي وصلته مطولاً قبل أن يعيد طلب الرقم: ألو السيد (هـ) اتصلت بي للتو، كيف حالك؟

- جيد، اشكرك على السؤال!

- هل يناسبك الحضور الآن لرؤية الغرفة؟

- السيد (هـ) مندهشاً: الآن حقاً لم أكن أتوقع هذا!

حسناً ولكن هذا أفضل لحسن حظي أنك متفرغ اليوم، أرغب فعلاً برؤيتها بشكلٍ عاجل.. في الحقيقة إني وصلت حديثاً للقرية و أقيم حالياً في فندق القرية، عملي هنا يبدو أنه يحتاج بعض الوقت لذا فكرت استئجار غرفة انـ..

- أنا في انتظارك.. إذن أرجو ألا تتأخر... أغلق الهاتف مقاطعاً كلامه مصمماً على أمر ما أشبه بالتحدي.

في حوالي الساعة الخامسة مساءً كان السيد (هـ) قد وصل للعنوان المنشود دون أي عناء، فلقد كانت الفيلا الوحيدة بتلك المواصفات الفخمة والقبة المزخرفة بلونٍ أقرب للفضي من الأبيض، لفت نظره جمال الفيلا ودقة تفاصيلها وأسلوب بنائها المتقن، ورغم ذلك هناك شيء يشعره بالغرابة فيها لا يفهم سره.

فتحت له السيدة (ن): أهلاً بك، من تقصد، سيدي؟!

- أنا السيد (هـ) تكلمت إلى السيد (س) منذ ساعاتٍ قليلة من أجل رؤية الغرفة المعروضة للإيجار هنا.
- أية غرفة تتكلم عنها؟ أنت مخطئ، لا غرف للإيجار لدينا، همتْ بإقفال الباب إلا أن قاطعها السيد (س) مبتسماً: أهلاً بك سيد (هـ) كنت بانتظارك، تفضل، أعتذر لك، إنها كبيرة في السن لا تتذكر الأمور بشكلٍ جيد، لكن ما زالت تتقن الطهي الشهي إلى جانب أنها مديرة منزل ممتازة.

دخلا بشكل مسرع، التفت إليها وهما يسيران باتجاه السلالم: سيدة (ن) لو سمحت، هل لك أن تحضري لنا بعض القهوة إلى الغرفة العلوية، غرفة والدتي.

صمتت السيدة (ن) تومئ بالإيجاب مقطبة الجبين.

دخلت المطبخ لتحضير القهوة وهي تتمتم بقلق شديد: "سبعة أبواب، ستة منها تدخلك بالخطر" يا له من غبي لا يدرك ما يقحم نفسه به! يا لعنده هذا.. آه منه! حسناً يجب أن أهدأ الآن و أفكر بجدية كيف يمكنني إقناعه بالعدول عن الفكرة تلك!

دخل السيد (س) غرفة والدته المقفلة.. وللحقيقة إنه لم يدخلها منذ زمن طويل لأن السيدة (ن) قد منعته مراراً بدخولها حتى قارب على نسيانها تقريباً.

كانت السيدة(ن) تملك من الدهاء والحنكة ما يجعلها تنجح دوماً بدفع تفكيره عنها، إلا أنه مع الوقت وردود فعلها التي باتت ملحوظة له اتجاه تلك الغرفة، بالإضافة إلى لأسئلة التي لا يجد لها جوابا، أشعلت لديه الإصرار على فتحها وفتح كل تلك الأسرار معها.

السيد (ه): غرفة جميلة جداً تنم عن ذوق رفيع، رغم أنها قديمة الطراز ويبدو بشكل واضح أنها أُهملت لفترة طويلة من الزمن، غريب أن تكون لديك مثل هذه الغرفة ولا تستغلها، على أي حال هذا من حسن حظي لأحظى بها لنفسي.

بقي السيد (ه) يتفحص الغرفة بدقة لفترة من الزمن: حسنا سيد (س) الغرفة حقاً جميلة، أعتمد الإقامة فيها لكنها تحتاج إلى التجديد وإضافة بعض الأشياء عليها وتبديل البعض الآخر إن كنت لا تمانع ذلك.

السيد (س): حسناً أنا لا أمانع لك الحرية فيما تجده مناسبا.

دخلت السيدة (ن) لتقديم القهوة بوجهها المتجهم: تفضلا القهوة.

- شكراً لك عزيزتي ضعيها على الطاولة المجاورة.

تناول (ه) فنجان قهوته مرتشفًا القليل منها، وقد لاحظ نظرات السيدة الممتلئة بالخوف اتجاه الغرفة وكأنها محاطة بأشباح لا حصر لها!

حَدَجته بصرامة وانصرفت، للحظة ارتعشت يداه من أسلوبها الغريب.

ضحك السيد (س) مخففاً حدة الموقف، قائلاً: إنها ذات طباع غريبة أحياناً، لا تلقِ بالاً لها، هي في النهاية شخص لطيف سوف تعتاد عليها مع مرور الوقت.

ابتسم السيد (هـ): إذن سوف أكون هنا في صباح غد وبرفقتي عامل للمساعدة.

السيد (س): لا بأس بانتظارك إذن، أود لفت نظرك إلى أنه يفضل الاحتفاظ بما في الغرفة من أثاث وأشياء جانبية، لذا أرجو منك أن تخبرني إن كان هناك ما تريد الاستغناء عنه كي أنقله لغرفة أخرى.

ثم توجها إلى خارج الفيلا يتناقشان ويتبادلان أطراف الحديث، وفي الوقت الذي كانا يودعان بعضهما على المدخل كانت السيدة (ن) تنظر من نافذة المطبخ تفكر ملياً بخطة تستطيع من خلالها إبعاد السيد (هـ) عن المنزل دون إثارة شكٍّ في نفس السيد (س)، فمن الصعب تجاهله أكثر من ذلك.. أي تصرف منها الآن سوف يزيد الأمر سوءًا ويزيد من عناده.. قالت: تلك الغرفة ستجلب الكثير من المتاعب، يجب غلقها من جديد بأي ثمن كان وبأي طريقة كانت.

استدار السيد (س) عائداً للداخل ينظر لنافذة المطبخ بطرف عينه ويبتسم ابتسامة نصر ومكر، وما لبث أن دخل غرفة المعيشة وهو يدنْدن ببرود حتى لحقت به خادمته مسرعة: سيدي هل لك أن تخبرني، لمَ قررتَ تأجير غرفة والدتك؟ نحن لسنا بحاجة للمال، ثم لم تلك الغرفة بالذات، هناك غرف أخرى أكثر ترتيبا؟

- أخبريني سيدة (ن) لمَ كلما ذكرت تلك الغرفة يشحَب وجهك وتصابين بالذعر؟

اقترب منها وجهاً لوجه وأكمل: هل هناك ما عليك أن تخبريني إياه؟

- هذا غير صحيح، إنها مجرد غرفة كباقي الغرف؛ هي فقط قديمة جداً وتحتاج للتنظيف .

- اممم.. انتابني شعور غريب عندما دخلتها، لم أعرف لماذا؟ يبدو أن هناك ما لا أذكره عن هذه الغرفة.

- سيدي لماذا تشغل نفسك بتلك الأفكار؟ يبدو أنك تحتاج إلى رحلة تروح فيها عن نفسك أو ممارسة نشاط ما، لمَ لا تعود للعب التنس؟ كنت تعشق ممارستها.

- هههه مع محاولتك الفاشلة إلى صرف تفكيري كالمعتاد، أود إبلاغك بأن غداً سوف يأتي السيد (هـ) برفقة العامل لترميم الغرفة؛ أرجو أن تكوني على استعداد لاستقبالهم، أنا ذاهب للقرية لأتمشى قليلاً وأحضر بعض الحاجات المهمة.

كان السيد (س) قليلَ الكلام مع الآخرين معروفًا بتقلب مزاجه من وقت إلى حين، محبا ومرحا، لطيفًا يحب الاهتمام بالزرع بشكل كبير، وخاصة زهرة البنفسج تلك تحتل مرتبة كبيرة في ذاته كما يحب تربية الطيور، وكان يملك سلحفاة يدعي أنها تجلب له الحظ السعيد وتزود منزله بنوع من الطاقة الإيجابية.

قصد السوبر ماركت لشراء مستلزمات منزلية وبعض الطعام لطيوره، كما لم يغبْ عن ذهنه إحضار بعض الإضافات البسيطة لتسلية سلحفاته ريمونا، ومن ثم قصد متجر أدوات الزراعة وتجهيز الحدائق لشراء المبيدات والأتربة والبذور لزراعتها، وبينما كان يتجول به لفتت نظره نافورة ماء بتمثال شدته بقوة كالسحر، كانت عبارة عن امرأة معلقة بخيط شمس وكأنها بين الحياة والموت، أو تطلب النجاة للهروب من العتَمة للضوء.

بين ذهوله بها ومشاعره المتضاربة؛ وجد نفسه قد اشتراها فعلا دون أن يعلم أين يمكن وضعها في حديقته البسيطة.

عاد للمنزل وهو يستمع إلى بعض الأغاني القديمة في مذياع السيارة.

فتحت له السيدة (ن): أهلاً سيدي كيف كانت نزهتك؟

- جيدة، استمتعت بها، لن تصدقي ما وجدت في نزهتي، وجدت تحفة فنية بامتياز رائعة الجمال بشكل كبير.. يا إلهي ما أجملها! حقاً لم أستطع مقاومتها إلى أن وجدت نفسي أدفع ثمنها، آهٍ.. فاتنة بحق سوف تنال إعجابك أنا متأكد من هذا، عزيزتي، كم أحبك! أنت جميلة اليوم!

- سيدي، أسعد لرؤيتك مبتهجاً ولكن هل لي أن أسالك عمّ تتحدث، ما هذا الشيء الرائع الذي جعلك بكل هذا الحماس؟

- غداً في الصباح سوف ترين عم أتحدث، دعيني أُجهز للأمر أولاً لتكون مفاجأة رائعة، تصبحين على خير عزيزتي الجميلة، فعلاً كلما تكبرين تزدادين جمالاً .

اليوم التالي وفي تمام الساعة التاسعة والنصف صباحاً جاء السيد (ه) كما كان الاتفاق.

السيد (ه) برفقة العامل: صباح الخير سيدة (ن) كيف حالك اليوم؟

- بخير للآن، يبدو أنك من المحافظين على دقة المواعيد، على أي حال أتمنى أن تفكر ملياً بما أنت مقدم عليه، هناك غرف كثيرة للإيجار أكثر جمالاً، لمَ لا تجد لك إحداها؟ دعك من تلك الغرفة القديمة، هي لا تناسبك.. تستحق الأفضل، جرب وسوف تجد، أعدك بذلك؛ ما رأيك؟

- يبدو أنك متعلقة بها سيدتي، يؤسفني أني لا أستطيع التخلي عنها، اعذريني.. الآن هل لك أن تنادي لي السيد (س)؟

- سوف أصعد أنا مع العامل إلى الغرفة، أخبريه أن يلحق بنا لو سمحت.

- السيد (س) في صدد عمل مهم الآن، تجده في حديقة المنزل الخلفية إذا احتجت لشيء مهم.

- حسناً، شكراً لك.

استغرق السيد (س) وقتًا طويلًا في الحديقة لتجهيز نافورته وأضاف بعض ورد البنفسج حولها لتزيينها أكثر، كما اهتم بأن يكون موقعها مقابلاً للأرجوحة المعلقة للتمتع بها أكثر، دائماً ما يهتم بأدق التفاصيل.

بعد عمل ساعات طويلة انتهى منها، ثم توجه بعجلة للسيدة (ن) لاصطحابها إلى هناك لكي ترى التحفة الأثرية التي أبهجته بشكل لافت بأمس، عندما وصلت السيدة للحديقة ذهلت بما صنعه للحظات، إلا أن النافورة أثارت استغرابها بشدة، نعم، ذكرتها بشيء أشبه لما يدور في ذاكرتها وغالباً ما يصيبها باكتئاب حاد، وكان على الأغلب يتعلق بتلك الغرفة التي تكره بشدة فتحها وتعلقت بها كل الأجوبة!

توجه بعدها السيد (س) لمقابلة السيد (هـ) والعامل ليرى إن كانا يحتاجان لأي مساعدة: كيف حالك سيد (هـ) هل الأمور تسير معك بشكل جيد هنا؟

- جيدة، نعم ولكن أود طرح سؤال عليك إن لم يكن لديك مانع في هذا؟

- بالطبع لا أمانع تفضل، ماذا هناك؟

- في الحقيقة أثناء إعادتنا لترتيب الغرفة لاحظنا أن الجدار خلف المكتبة ضعيفٌ نوعاً ما، فهل كان هناك غرفة أخرى أو نافذة سابقاً؟

- على حد علمي لم يكن هناك أي شيء، فقط هذا الجدار والمكتبة واللوحات المعلقة لا غير.

- نعم أرى ذلك، و بالمناسبة أيضاً أود أن أبدي إعجابي باللوحة تلك على الأخص يبدو أنها مميزة حقاً.

- اللوحة هذه مرسومة من قبل والدتي، كانت رسّامة ماهرة، هذا ما سمعته عنها دوماً منذ صغري.

- أين هي؟ لم أرها، هل هي على قيد الحياة؟

- لست على علم كيف اختفت عندما كنت طفلاً، في تلك السن الصغيرة يصعب على الطفل تذكر الأحداث للأسف، لذا أجهل حقيقة اختفائها.

- أعتذر لك عن تطفلي.

- لا بأس عليك، حسناً إذن ما ذا تنوي هنا؟ أرى أنك قمت بتغيير إطار النافذة والستائر، كما يبدو أنك أزلت الرفوف من الغرفة، ويبدو أنك تنوي تغيير ورق الجدار أيضاً.

- هو تغيير بالمسموح بحسب ما أعتقد؟!

- طبعاً هو كذلك، على أي حال، قد حان وقت الغداء.. ما رأيكم أن نتناوله سويا" لن تقاوما طعمه!

جلسوا جميعاً على الطاولة يتشاركون الغداء مع أطراف الحديث والتعارف، فيما كانت السيدة (ن) صامتة بشكل مريب لا تعلق على أي موضوع ولا تجيب، بعد الانتهاء من الطعام انتقلا إلى غرفة الجلوس لشرب الشاي وإكمال الأحاديث بينهم في حين اهتز الفنجان بيد العامل وسكب الشاي عليه بشكل مفاجئ، فقام معتذراً ليغسل ما سقط عليه.

سارع السيد (س) لتقديم المساعدة له سائلاً إياه: هل تود أن أرشدك إلى الحمام؟

شكراً سيدي، سوف أطلب من السيدة إرشادي إليه.

توجه إلى المطبخ ليطلب مساعدة السيدة (ن) ولكن لم يجدها للوهلة الأولى، فقرر أن يعتمد على نفسه بإيجاد أي قطعة قماش يمسح بها الشاي من على ثيابه .

وفي هذا الوقت سمع أصواتًا غريبة تأتي من الباب الخلفي للمطبخ.. اقترب منها بتمهل ليعرف ماهية الأصوات، فسمع صوت السيدة وكان هناك شخص ما يتكلم إليها بأسلوب غاضب محتد: تعلمين ماذا سوف يحدث له ولك إن عرف أي شيء؟ حذرتك أنا ولك أنت حرية الاختيار.

- صدقاً يا سيدي حاولت جداً أن أصرف تفكيره عن تلك الغرفة، لكن يبدو أنه مصممٌ على ذلك.
- حسناً، لنأمل فقط أن لا يجد أي شيء لا نرغب في وصوله إليه!

سارع عامل الصيانة بالعودة إلى غرفة الجلوس متعجبًا لنوع الكلام الذي سمعه من تلك السيدة ونبرة الرجل الشديدة معها، غير متناسٍ صمتها المطبق وشحوب لونها و انزعاجها أثناء فترة الغداء، جلس قليلاً شارد الذهن حتى لاحظ السيد (هـ) شروده، حاول الاستفسار منه ولكنه اكتفى بالاعتذار منهما، وقرر الصعود إلى الغرفة ليكمل عمله بحجة أنه يود العودة إلى زوجته بوقت باكر اليوم.

صعد العامل إلى الغرفة وهو يفكر في تلك الكلمات، نظر باتجاه الحائط وفجأة عاد ليدقق بأمره: أنا متأكد أنه كان هنا شيء ما، الحائط رقيق جداً ليس كبقية الجدران ما سر هذا المنزل يا ترى؟

الأفضل لي أن لا أقحم نفسي بأمر لا أعرف عو اقبه، سأنهي عملي سريعاً وأذهب.

انتهى العامل ورتّب أغراضه في صندوق العدة ونزل بشكل سريع، ودّعهم و اتفق معهم على نفس الوقت في اليوم التالي، في حين عاد السيد (هـ) إلى الغرفة ليتمم بعض الأعمال أيضاً، وجمع ما يريد من إطار النافذة والستائر والرفوف القديمة بحسب اتفاقه مع السيد (س) لوضعهم في غرفة أخرى، نظر ملياً إلى الإطار المليء بالخدوش إلى جانب وجود جملة غريبة على أحد الرفوف، حفرت يدوياً بأداة ضعيفة على ما يبدو كأنها مبرد أظافر أو ما يشابهه.

نادى على السيد (س) ليعطيه تلك الأغراض، ورحل إلى الفندق المقيم به بشكل مؤقت.

في صباح اليوم التالي صعد العامل والسيد (هـ) ليكملا عملهما وبدأ العامل بإزالة ورق الجدران القديم وإذ بصورة تسقط من خلف إحدى قطع ورق الجدران لمجموعة من الأشخاص أربعة رجال وامرأتين وطفلين صغيرين، صورت في غرفة ما ولكن ليست أية من تلك الغرف، أثارت بعض الأسئلة في ذهن السيد (هـ)!

انتهى ترتيب الغرفة ونزل السيد (هـ) مع العامل لإعطائه أجره و شكره على جهده معه.

نظر العامل إلى (هـ): سيدي هل ترى أن هناك أمرا غريب في هذا المنزل؟

- لماذا تسأل عن هذا، هل تقصد الصورة أو أن هناك أمرا آخر؟

- سيدي إن الجدار الضعيف ليس إلا ستاراً لغرفة أخرى وليست لنافذة حتى؛ لأن حجمه يدل على باب، ثم تلك الصورة تنم عن وجود عائلة في المنزل، وأنا لم أرَ سوى السيد (س) وخادمته، والغرفة في الصورة هي مختلفة جداً عن نمط هذا المنزل، ثم إني...

- ثم إنك ماذا، قل ما لديك هل هناك شيء آخر؟

- بصراحة يا سيدي هناك أمر مريب، لم أكن أنوي التكلم بالأمر كونه لا يعنيني، ولكن منذ أمس وأنا لم أستطع نسيان الأمر مطلقاً.

- ماذا هناك، تكلم.. شغلت بالي!

- عندما ذهبت في الأمس للسيدة (ن) لأطلب منها المساعدة لم أجدها في المطبخ، ولكن ما لبثت دقائق حتى سمعت صوتها تتكلم مع رجل غريب عند الباب الخلفي للمطبخ، وكان يبدو عليه الغضب الشديد وتكلم معها بشدة عن الغرفة وأن هناك أمرا ما لا يجب على السيد (س) معرفته وأنها سوف تصاب بمكروه هي والسيد لو عرف أي شيء.

- يا للغرابة.. حقاً أمر مريب، على أي حال ليس من الصحيح استراق السمع على الناس.

- يفضل أن لا نتدخل في وضع كهذا فنحن لا نعرف أي شيء عن هذه الأسرة، ربما في وقت لاحق، وإن سنحت لي الفرصة أن أسأل في الجوار عنهم بحجة سكني لديهم.. لنرى ماذا سيقول أهل القرية حينها، اذهب أنت الآن وسوف نبقى على تواصل إن احتجتك من جديد.. شكراً لك.

صعد السيد (هـ) يفكر في كلام العامل والإطار المخدوش وتلك الجملة، ولا بد أنه كان شديد الشرود لدرجة أن يواجه السيد (س) على السلالم ولا يلقي له بالاً وكأنه سراب!

- سيد (هـ): عذراً منك.. هل أنت بخير؟ سيد (هـ)!

- آه أسف سيد (س).

- الآن أصبحنا نقطن سوية يجب رفع التكلفة قليلاً، فلتنادني باسمي إن رغبت بذلك؟

- أتشرف بهذا حقاً (س) .

- ما رأيك لو نذهب سوية إلى القرية.. هناك مطعم صغير يحضر بعض الفطائر اللذيذة.

- لا مانع لدي، وفي الحقيقة أنا جائع جداً.

كان مطعم عائلة (إد) قريباً للفيلا، هو مجرد مطعم متواضع جداً صغير فيه بعض الطاولات والكراسي الخشبية القديمة، إلا أن رائحة الطعام الزكية تملؤ الأرجاء بشكل لا يقاوم. رحبت العائلة بهما واهتم بهم صاحب المطعم: كيف حالك سيد (س)؟

- بخير.. شاكر لطفكم.

- هل هو ضيف جديد؟

- نعم إنه من ساكني القرية حديثاً، مستأجرٌ لدي.

تمتم صاحب المطعم بكلمات خفية لا تنم عن الارتياح ولم يبدِ أي ترحيب بالضيف، ثم أردف: جيد، إذن هل تريد الطلب المعتاد؟

- هو كذلك لكن بأسرع ما يمكنكم نحن في غاية الجوع.

- لك هذا سيدي.

هل لك أن تكلمني عنك (ه)؟

- أعمل محامياً، كنت أعمل في المدينة مع أحد الأشخاص.. له مكانة رفيعة، وبعدها طلب مني القدوم إلى هذه القرية لمقابلة أحدهم في مسألة مهمة وعاجلة أتمنى أن أكون على قدر المسؤولية، لدي عائلة كبيرة يصعب ذكرها كاملاً.

أنا مرتبط بامرأة جميلة جداً تدعى (م) هذا ما لدي، ماذا عنك أنت؟ لم لا تخبرني القليل؟

- صمت السيد (س) قليلاً.. بدت عليه ملامح الحزن واليأس تنهد قائلاً: لا أعلم أين أمي و أين أبي، لا أعلم إذا ما كان لدي أخ، حقيقة لا أعرف شيئاً عن الحياة السابقة.. أحاول أحياناً تذكر أمور محددة لكن للأسف غالباً ما أفشل في ذلك، كما أنه كثيراً من الأوقات تلاحقني بعض الأحلام المزعجة الغير مترابطة والغير مفهومة، السيدة (ن) ربتني واعتنت بي، إنما خارج المنزل لا أذكر أنها أرادت تقريبي لحياتها الخاصة لذا لا أعرف عنها الكثير.

إنها تجيد عملها بمهارة و إتقان و أثق بها لكونها الشيء الوحيد المتبقي لي من ماضي حياتي، وأراهن على أنها تعرف أشياء ترفض قولها لي!

- ولم لست مرتبطا إلى الآن رغم أنك اصبحت بعمر السادسة والثلاثين تقريباً؟

- تعرفت إلى أكثر من فتاة، ولكن في كل مرة كان غموض الفيلا كما يدعين وشخصيتي المتقلبة، كفيلتان بدفعهم للرحيل عني.

- هل حاولت التواصل معهن، الاتصال أو إرسال رسالة للعدول عن رأيهن؟

- لا فائدة يا صديقي، عندما تقرر النساء الرحيل لا رجاء منهن أليس كذلك؟!

تفضلا الطعام، سيدي أتمنى أن ينال إعجابكم. بدأ كل منهما في تناول الطعام بنهم لطعمه المميز، نظر السيد (هـ) إلى السيد (س) مفكراً ملياً: إنه شخص طيب لكن ما سره؟ أشعر بأنه حزين لا أعلم! وهل من الحكمة إشراكه فيما وجدناه؟ ربما لاحقاً؟ ما زال الوقت مبكراً على التحدث إليه بأمر كهذا، أكملا طعامهما وعادا ليقضي السيد (هـ) ليلته الأولى في الفيلا.

جلسا كالعادة في غرفة الجلوس يحتسيان القهوة مع زقزقة طيور السيد (س) وسلحفاته تجلس على جانب النافذة بسكون وكسل والسيدة (ن) صعدت إلى غرفتها باكراً لتستريح على غير عادتها، ظن سيد (س) أنه نوع من الاعتراض فقط كما الإضراب.

التفت (هـ) إليه بشكل مفاجأ: هناك حقاً باب مغطى في الغرفة!

نظر إليه (س) بجدية دون أن يجيب.

-ألا يثير اهتمامك، ما رأيك لو حاولنا معرفة ما خلفه؟

- سوف تُجنّ عزيزتي حينها، قالها مع ابتسامة ملؤها السخرية.

-أنا لا أفهم حقاً ما بال عزيزتك بتلك الغرفة، منذ قدومي وهي في توتر وقلق حتى أنها حاولت إقناعي بالعدول عنها!

-هي فعلت ذلك؟ هل تتكلم بجدية؟!

-صدقني هذا ما حدث، على أي حال كنت أنتظر فرصة حتى أريك شيئًا مهما.. وجدنا هذه الصورة صباح اليوم، هل تعرف من هم الأشخاص فيها؟

نظر (س) للصورة بتنعّم.. تأملها مطولاً: والدي والخادمة و أنا، هذا ما تعرفت إليه أما البقية فلا علم لدي من يكونون.

-لكن أين هذه الصورة؟ لا أعرف، ربما هي... قاطعه: ربما الإجابة خلف ذاك الجدار؟

-حدقا ببعضهما، ثم أردف السيد (س): هل لك أن تحدث العامل؟

-نعم هو جاهز متى ما شئت.

-جيد جداً، العمل بانتباه لكي لا نصدر جلبة أمام عزيزتي حتى لا تغضب أكثر.

-آه.. تماماً، سوف أصعد للغرفة وأكلمه لأحدد موعدًا معه، سوف أخبرك به على الفور.

-جيد جداً، لنرَ ما هو المخبأ عني إذن .

-توجه (هـ) إلى الغرفة يجري بتحمس دون أي مماطلة، أمسك هاتفه متصلاً بالعامل.

-ألو سيد (هـ) كيف حالك؟

-بحال جيد، هل تستطيع أن تأتي غداً؟ أحتاجك من أجل ذاك الجدار، لقد فاتحت السيد (س) بالموضوع وهو مهتم به.

-أعتذر منك سيدي لم أعد أعمل بعد الآن، الرجاء عدم الاتصال بي مرة أخرى.

أغلق الهاتف في وجهه، بقي (ه) في حالة تعجب من رد فعله متسائلاً: ماذا الآن؟ ماذا يحدث؟!

أرسل رسالة إلى السيد (س): للأسف العامل لن يأتي لقد اعتذر عن العمل، ماذا ترى أن نفعل؟

توقع للحظة أن تلغى الفكرة من أصلها وخاصة أنه انتظر طويلاً، إلى أن بدأ اليأس يتسلل إلى نفسه وبات شبه مؤكد أن العملية ألغيت.

وإذ بالسيد (س) يفاجئه في منتصف الليل برسالته: أنا صاعد لك معي بعض العدة البسيطة لنفعلها سوية دون أن يشعر بنا أحد إن كنت لا تمانع، أنتظر ردك.

-قفز بتحمس مشتعلة فيه روح المغامرة، أرسل الرد بشكل سريع: على الفور أنا بانتظارك.

أمام ذلك الحائط المجهول وقفا بتأهب على استعداد تام بما قد يقابلهما بعد هذا، وبعد أن تأكد كلاهما من أنهما أقفلا الأبواب جيداً منعاً من أي فضول أو تسلط عليهم من قبل السيدة (ن) باشرا العمل، وبعد نصف ساعة وأكثر من العمل سقط كليهما من هول المفاجأة رغم

توقعهما الكثير، إلا أن وقع الشيء بشكل مباشر كان له رد فعل غير متوقع.

نظر كلاهما إلى بعض في ذهول وعلامات استفهام تملؤ عقولهم، صدق حدس عامل الصيانة إنها غرفة مخبأة غرفة كاملة مؤثثة بشكل نصفي، لكن ليست مجرد غرفة هي أقرب إلى استوديو صغير غريب، قسم منه يبدو كما الصورة تماماً.. أثاث فاخر، أما القسم الآخر كان أشبه بالزنزانة: فيه سرير فردي حديدي مع أصفاد لليدين والقدمين بسلاسل طويلة نوعاً ما، ومكتب صغير وخزانة صغيرة، ما هذا المكان بالتحديد؟ لا أحد يعلم ماهيته وما نوع الأجواء المقامة به.

تجولا بالغرفة قليلاً بتفحص سريع، (س): علينا أن نجد طريقة نغلق فيها فتحة الحائط كي لا تنتبه عزيزتي إلى ما اقترفته أيدينا الآن، صدقني لن تكون سعيدة مطلقاً ثم يبدو أننا بدأنا في نبش ماضٍ ليس بسهل، متأكد أن هناك أمرا خطيرا خلف كل هذا ليس من الطبيعي وجود هكذا مكان هنا!

السيد (هـ): لنتساعد إذن على إعادة المكتبة لمكانها حالياً، وسوف أتأكد أنا من إقفال باب غرفتي بشكل دائم.

- (س): يجب عليك أولاً تغيير قفل الباب للاحتياط، إذن لنحرك المكتبة ثم أجد لك قفلاً جديداً.

انتظر السيد فترة من الزمن قبل عودة (س) بالقفل الجديد: تم تأمين الأمر الآن، أنا ذاهب للنوم أراك في الغد.

-حسناً أراك غداً، ليلة سعيدة.

في صباح اليوم التالي على الإفطار وعلى غير المعهود لم تكن السيدة (ن) مستيقظة، انتظراها فترة ولكن لم تظهر رغم طول الانتظار، شعر (س) بالريبة تجاه ذلك، توجه لغرفتها ليطمئن عليها، طرق الباب لأكثر من مرة ولا إجابة مطلقاً.

فتح باب غرفتها ودخل ليجد السرير مرتبا ولا أحداً بها، كما أن خزانة ثيابها فارغة تماماً، لم يجد أي شيء سوى ورقة كتبت عليها: سبعة أبواب مغلقة واحدٌ فيه جواب والستة تدخلك الخطر، أعتذر لك.. اهتم بنفسك.

نادى على (ه) مذهولا.. امتلأت عيناه بالدمع والحيرة، آخر ما تبقى من ماضيه من حياته غاب أيضاً، حاولا الاتصال بها مراراً وتكراراً لا فائدة مطلقاً، ترتيب السرير والغرفة يعني أنها لم تبتْ في غرفتها من الأساس، وهذا يعني أن استراحة عصر أمس كان بداية اختفائها، ولكن هل رحلت من تلقاء نفسها أو ماذا حدث لها؟!

-اتصل (س) بالشرطة فوراً للإبلاغ عن فقدها، لكن كانت الإجابة عليه بتجاهل اتصالاته لأكثر من مرة.

كفاك الآن هيا لنذهب إلى تلك الغرفة لعلنا نجد شيئًا نستطيع من خلاله معرفة ما يحدث، قالها السيد (هـ) مصطحباً معه (س) وهو بحالة صدمة تامة مركزاً على تلك الجملة الغريبة وما يقصد بها!

أزاحا المكتبة وبدأ كل منهم بالبحث الجاد، لم يجدا شيئًا لا في السرير ولا في الخزانة ولا المكتب الصغير ولا حتى الأثاث الفاخر، جلسا على الأرض يسندان ظهر بعض بخيبة وحيرة، وفي نظرة يائسة سريعة من (س) للغرفة الوحيدة التي كان يتأمل فيها إيجاد جواب، لاحظ تلك الرسمة على الحائط، إنها نفس الرسمة التي كانت في الجهة الأخرى، نهض بسرعة اتجاهها وأخذ يتفحصها والسيد (هـ) يراقبه، حتى سقطت خلفيتها على الأرض، نظر خلفها ليجد دفترا صغيرا مخبأ كتب عليه: "احذر ستة وثق بواحد، والخادمة ليست منهم".

كانت مذكرات عشوائية بعضها مثير للاهتمام بشكل بسيط، والآخر ممل لا فائدة منه، كلام غير مفهوم أغلبه غير مرتب وغير منسق، لم يفهم أحدهم منه شيئا، ما قصة الأبواب السبعة؟!

احتفظا بالمذكرة للتدقيق بها في وقت لاحق وتابعا البحث مجدداً، وكأن تلك المذكرة أعطتهم دفعة أمل كما لو أنها إشارة: اقتربت، تابع ولا تستسلم الآن.

كان كل ما يشغل بال السيد (هـ) السرير الحديدي والأصفاد، لمعت في ذهنه صورة الإطار المخدوش والجملة على الرف: (س) أين تلك الأشياء التي كانت في الغرفة؟

-هل تقصد الرف وإطار النافذة؟

-تماماً، ائتني بها على الفور دون مماطلة.

-جرى (س) مسرعاً لإحضارها ليعود إليه بها على الفور، ملقياً بها على الأرض أمامه.

-انظر ما هي تلك الخدوش يا ترى؟!

-لا أعلم يا (هـ) إنها غريبة ومن الصعب علي أن أخمن سببها!

-حسناً والجملة تلك هل تستطيع فهم شيء منها؟

-الجملة لا أفهمها، ربما كتبت بلغة روسية أو غيرها، يجب أن نبحث عمن يترجمها لنا.

-(هـ): لكن أين نجد هذا المترجم الذي نستطيع أن نثق به؟

استمرا في البحث مطولاً حتى مضى اليوم دون أن يشعرا به، ذهب كل منهم للنوم متفقين على إتمام البحث في الغد، استمرا على هذا الحال أياما ولم يصلا لأي خيط يستدلا به على شيء.. استولى عليهما اليأس والإحباط بعد مضي أكثر من أسبوع بلا فائدة.

في اليوم التالي وبينما كان السيد (هـ) خارج الفيلا في عمله وبقي السيد (س) في حديقته يتأمل النافورة وتمثال المرأة المربوطة بخيط شمس يتذكر كيف كان رد فعل السيدة (ن) عندما رأت تلك النافورة وكيف عمل عليها بهمة، متسائلاً ما قد يكون حدث للسيدة (ن)، رن هاتفه برقم شخص مجهول.

-ألو مرحبا سيد (س).

-أهلاً من المتكلم؟

-أود رؤيتك لو سمحت، لدي ما أطلعك عليه إن كنت متفرغا، أرجو أن تكون لوحدك فقط.

-أقلها أن تعرفني عن هويتك أولاً لو سمحت. ما الذي يستطيع رجل غريب إطلاعي عليه؟

-قابلني في المطعم القديم بعد ساعتين من الآن.

انتهت المكالمة وقام (س) بدوره بالاستعداد لذاك الموعد والفضول يملأ نفسه.

ورغم حرصه الشديد على التواجد في الوقت المحدد بالمطعم، إلا أنه عندما وصل لم يجد أي أحد في انتظاره، كل الذي رآه مشاجرة كبيرة بين صاحب المطعم وأحد الرجال اجتمعت عليها أهل القرية مما جعله عاجزا عن رؤية المتخاصمين، انتظر كثيراً ولا فائدة.. عاد أدراجه مغتاظا مقتنعا أن أحدا افتعل به مقلبا ليس إلا.

وصل إلى المنزل يشعر بثقل العالم على كاهله وأنه على وشك فقدان عقله بسبب كل ما يحدث، قصد غرفة السيدة (ن) أقفل الباب ورائه وكأنه يبحث عن النجدة فيها يرتجي الحصول على بعض الأمان والدفء، جلس على سريرها يطالع الغرفة بكى وكأنه طفل صغير وأخذ يعاتبها بينه وبين نفسه: لمَ رحلت؟ ما ذا تخفين عني؟ ما الذي يحدث؟

غفى على سريرها دون أن يشعر حتى استيقظ على حركة قوية في الفيلا، وأصوات رجال لكن في هذه المرة كان هناك صوت امرأة: سيدتي لقد كشفت الغرفة ما من شيء مهم.. بحثنا جيداً، البيت فارغ لا يوجد أحد به.

-والطريق للسرداب، هل كشف؟

-لا، سيدتي، لم أجد أي طريق في الحقيقة.

-جيد هذا المطلوب، وذاك الأحمق احرص على إخفاء أنفاسه عن الحياة.

-حسناً سيدتي ماذا بالنسبة لـ(ن)؟

-لن يتفقدها أحد، ما قمنا به يدل على أنها رحلت من تلقاء نفسها، ولا أظن أن ذلك الأبله قد تصل به الحماقة بمخالفة الأوامر إلى هذا الحد وتأكدنا مسبقاً أن لا شيء مهما في غرفتها.

علت صوت ضحكة ساخرة من السيدة الغريبة والرجال من حولها للحظات ثم غابت أصواتهم تماماً.

بقي السيد (س) في حالة من الخوف مختبئا في غرفة السيدة (ن) يحرص على عدم إصدار أي صوت يدل على وجوده، بعد مرور وقت طويل كافٍ أن يشعره بالأمان لرحيلهم، حاول النهوض ولكن غلب عليه التعب وتعثرت خطواته ليسقط أرضاً أمام الخزانة وبقي مستلقى يشعر بالسقوط مجازياً كما كان في الحقيقة، وإذ بأمر غريب يلفت نظره.. تحت الخزانة خشبة لونها مختلف عن البقية، أزاح الخزانة قليلاً قدر ما استطاع حتى وصل إليها، وجد خريطة بأسماء ورموز وضعت تحت تلك الخشبة.

فتح الخريطة ليحاول فهم ما فيها من رموز، أخرج المذكرات التي وجدها وانشغل بها إلى درجة أنه نسي تماماً أمر (ه) الذي بقي طوال اليوم مختفيا حتى حل الليل ولم يأت بعد ولم يتصل أو يرسل برسالة.

بقي ينظر للرموز والمذكرة حتى لاحظ أن الإجابة قد تكمن في تو افه الأمور أحياناً، في إحدى صفحات المذكرة كتب: "اليوم السابع والعشرون من كانون الثاني، كانت ليلة شتوية عاصفة بكل معنى الكلمة.. الجوكر جن أيضاً هنا، الكؤوس ما لبثت أن تتوقف عن التضارب والأصوات ترتفع، الأوراق الملونة في كل مكان حتى في أسفل الزجاج".

تذكر تلك الخدوش على إطار النافذة، من الاستحالة أن يستطيع شخص افتعال تلك الخدوش عن طريق الصدفة إلا إن كانت مفتعلة بشكل مقصود، إذن لا بد أنها للتمويه أو إشارة لشيء ما، فكر فيما لو كان المقصود هنا الإطار، اممم.. لم لا؟ ما من خسارة إن بحثت فيه عن شيء.

ذهب ليتفحصه مستغلاً أنه لوحده في المنزل وبقي لساعات يقلبه حتى فكه بشكل كامل وفصل الزوايا عنه وإذ بقصاصة ورق صغيرة تسقط بين يديه كتب عليها بعض الأسماء كانت: السيد (و)، السيد (ر)، السيد(ك) السيد (ص) والسيدة(م) والسيدة (ن)، والأطفال (ج) و(س) ومعها قلادة مغلقة، فتحها ليلقي نظرة عليها وإذ بصورته مع والدته والطفل (ج)، أي ما يعني أن الطفل الذي كان بجواره هو أخوه على الأرجح: ما يعني ذلك؟ هل كان لي أخ؟ وإن كان هذا صحيحاً أين هو؟ لمَ لا أذكر شيئاً عنه؟ ولا حتى السيدة (ن) تكلمت عنه أمامي سابقاً!

أعاد النظر إلى الخريطة بشكل مطول فوجدها تدل بوضوح على شيء ما موجود داخل الفيلا، مدخله في نهايتها وحجمه يشمل الفيلا بأكملها، والشيء الآخر أيضاً يدل على وجوده في حديقة المنزل، ولكن الصعب في هذا أن الحديقة لا يوجد بها أي منفذ إلى ما تذكره الخريطة وخاصة بهذا الحجم.

فجأة تذكر (هـ): أين هو؟ غريب.. تأخر الوقت جداً ولم يأت حتى للغداء؟!

أخذ يتصل به: الهاتف المطلوب مغلق الرجاء إعادة الاتصال في وقت لاحق، حاول الاتصال بمكان عمله أيضاً ولا أحد يجيب على الهاتف، ارتدى معطفه ثم تناول المفاتيح الخاصة به وهم بالخروج، إلا أن إلهاماً أوحى له بأن يعود للداخل ليضع المذكرة والخريطة والمفتاح والقلادة وما وجد الآن من أشياء مهمة في حقيبة سفر مع بعض الثياب والحاجات الخاصة، وحتى الرف الذي حفرت عليه الجملة أخذه معه وقرر أنه لن يبات في المنزل الليلة،

تأكد من قفل أبواب غرفته وغرف السيدة (ن) والسيد (هـ) ووضع طيوره في السيارة مع سلحفاته وبعض الأمور المهمة له، ولفقده للأمان حاول قدر الإمكان جمع ما يشعره بالصلة والدفء.

ركب السيارة و اتجه للفندق الذي كان يقيم به (هـ) رغم أنه كان بإمكانه أخذ أي فندق آخر أو استئجار غرفة عند أحد من السكان إلا أن جملة السيدة (ن) كانت تتطرق إلى ذهنه باستمرار: "سبعة أبواب مغلقة واحد فيها جواب والستة تدخلك الخطر". كلمة أبواب فيها تكفلت بإثارة الشك بنفسه اتجاه الناس بالإضافة إلى أنه فضل عدم إشعار أحد من القرية بما يحدث معه.

في الفندق أول ما سأل عنه السيد (هـ) لعله يكن هنا هذه الليلة، بعد انتظار طويل جاءت الإجابة مخيبة: عفواً سيدي لا يوجد أحد من النزلاء لدينا بهذا الاسم.

-هل أنت متأكدة؟ أرجو منك البحث في أسماء النزلاء المقيمين قبل أسبوعين تقريباً مؤكد سوف تجدين اسمه.

-أمهلني دقيقة لو سمحت لأراجع السجل على الحاسب الخاص بالفندق.

-يمكنني إذن حجز غرفة عند صديقك أثناء هذا الوقت.

حجز السيد (س) غرفته وأخذ أغراضه بالكامل إلى تلك الغرفة طالباً من العاملين على الاستقبال إخباره بنتيجة البحث لاحقاً مع طلبه لعشاء بسيط، بعد أن وصل إلى غرفته وجلس قليلاً يرتب أغراضه، قُرع باب غرفته وجاءت إحدى عاملات الاستقبال إليه!

-اعذرني سيدي على الإزعاج سمعتك تسأل عن السيد (هـ) أؤكد لك أنه لم يقم أي شخص بهذا الاسم بالإقامة لدينا مطلقاً، ولكن المواصفات التي أعطيتها لزميلتي كانت تشبه مواصفات أحد النزلاء المميزين، كان يصله اتصالات كثيرة كما أن صاحب الفندق اهتم بأمره بشكل شخصي وأذكر أنهم استقبلا معاً بعض الأشخاص المريبين قليلاً مع التعمد على إخفاء هويتهم، لقد انتقل منذ ما يقارب أربعة عشر يوماً على ما أظن، وقبل حضورك بساعات قليلة جاءت سيدة معها رجل آخر

ودخلا وصاحب الفندق إلى الغرفة التي كان يقيم بها، مكثوا فيها لمدة بسيطة ثم رحلوا.

-هل لكِ أن تأخذيني إلى الغرفة لو سمحتي؟

-أنت فيها الآن، لا تعتقد أنها صدفة، ما من صدف في الحياة، كل ما أستطيع قوله لك: كن على حذر وليس من مصلحتك البقاء هنا.. جد مكاناً آخر، وأرجوك أن لا تخبر أحدا عني.. أحضرت لك العشاء فقط.

خرجت مسرعة فيما أغلق الباب بإحكام، بدأ بدوره بتفتيش الغرفة بشكل سريع وإعادة أغراضه إلى حقيبة السفر، أثناء ذلك وجد رقم صغير في آخر قائمة خدمات الفندق كتب عليه (أبواب)، لحسن حظه أن الغرفة كانت قريبة من مخرج الطوارئ مقاربة إلى مكان إركان سيارته، نقل أغراضه للسيارة بسرعة محتفظاً بالقائمة التي تحتوي على الرقم وغادر الفندق في أقل من ربع ساعة.

فكر ملياً أين يمكن المبيت هذه الليلة؟ كان خائفاً من العودة للمنزل بعد تلك المداهمة، وما حدث معه للتو وتزوير هوية (هـ) زاد من قلقه أكثر، عاد يهمس لنفسه قائلاً: ليتك أخبرتني بما تعرفين عزيزتي، لطالما كرهت الحديث في هذا الموضوع.

ركن سيارته بعيدا عن المنزل وأحكم إقفالها من الداخل، أخرج الصورة التي أعطيت له.. إذا كان السيد (ك) والدي، والسيدة (ن) هي مربيتي، والطفل (س) أنا والآخر (ج) لا استطيع الجزم بأنه أخي.

بقي لدي السيد (ر) والسيد (ص)، والسيد (و)، والسيدة (م).

السيد (هـ) من أنت وما قصتك، وكيف تورطت في ذلك و أين أنت الآن، ما سبب اختفائك اليوم؟

أعاد النظر للخريطة التي وجدها والرموز المكتوبة فيها.. كتب فيها جملة: "من يستبعده ذهنك هو رب الأبواب كلها". نظر مجدداً إلى الأرقام التي كتبت على القائمة ما هي ٣,٢ / ٨,٥.

قطع عليه منظر سيارة ريفية تتجه إلى الفيلا في هذا الوقت المتأخر، بقي يراقب ما سوف يحدث، نزل منها شخص ما اتجه إلى المنزل بسرعة ثم للحديقة، يسيردون اتزان.

في حين ذهبت السيارة فور نزوله منها، عاد للطريق أمام مدخل الفيلا يتلفت يمين ويساروهو يرتجف، بقي (س) يراقب عن كثب عندما هم الشاب بالذهاب لاحظ (س) وجود سيارة قادمة من بعد ببطء شديد دون اشعال إنارتها، رابه أمرها ولسبب ما شعر أن الشاب في خطر، احتفظ بالمفتاح والخريطة والمذكرة في جيب سترته وتسحب من سيارته على عجل باتجاه الشاب المجهول، وفي اللحظة المناسبة تمكن من سحبه بين الأشجار، لم يتمكن من التعرف على ملامح وجهه في تلك الظلمة، اكتفى أن يتمسك به وجرى معه هرباً من شيء لا يعلمه، بحث عن أي مخبأ يتمكنا منه للوقت الراهن، في مكان قريب لحديقة المنزل الخلفية كان هناك شبه مستودع صغير مهجور تالف، لا يسع الكثير مع

تراكم بعض القذارة فيه إنما رآه المكان الوحيد الأكثر أماناً للآن، ببساطة لن يشك أحد فيه وهو آخر مكان يخطر في بال أي شخص البحث بداخله، فتح بابه ودخلا إليه، بسرعة حاول قدر ما يستطيع إخراج بعض الأدوات والقذارة منه وأغلق الباب بقوة، في تلك اللحظات رغم قصرها باتت طويلة جداً وكأنها ساعات، ليس بالعجيب مؤكد أنه ليس من المريح البقاء مع شخص غريب في مكان غريب يستوعبهم بصعوبة مع ظروف لا يعرف نهايتها.

- (س): من أنت وماذا تريد، ماذا تفعل هنا ومن يلاحقك بحق الله؟

- ألم تتعرف إلي؟ قالها (هـ) بصعوبة وأنفاس متقطعة وأنين ينم عن ألم شديد.

- (هـ)؟! أين كنت طوال النهار ماذا حدث لك ولمَ أنت مصاب بهذا الشكل، لمَ تلك الناس تبحث عنك بمَ أنت متورط؟

- قصة طويلة لا يمكنني إخبارك شيئًا عنها الآن، ربما في وقت لاحق، وغفى من شدة ألمه إلا أن (س) بقي يشعر بقلق اتجاهه ولم ينسَ أنه كذب بذكر هويته ولا يعلم من هو للآن وما هي وظيفته بالتحديد مع أولئك الأشخاص.

ساد الصمت لأكثر من ساعة قطعه صوت خطوات عجلات في الحقل المجاور، نفس الأصوات التي سمعها في الفيلا وتلك السيدة.. من هي؟

- سيدتي لا يوجد أحد، المكان خالٍ تماماً.

- انظر إلى تلك الغرفة الخشبية الصغيرة هل بحثت بها؟

- سيدتي من المحال أن تتسع لأي شخص ناهيك عن أنها مهجورة تماماً.. أي من ضرب الجنون أن يفكر أحد الاختباء فيها.

- أين اختفى ذاك الشاب بذاك الجسد المنهك كيف له أن يختفي بسرعة؟

- سيدتي الفيلا ليست ببعيدة عن المقر أود تذكيرك بهذا.

- صحيح أشعر أن الأمور بدأت بالخروج عن السيطرة، يا إلهي لا يمكن للأمور أن تكشف لذاك الرجل الآن، بعد كل تلك السنوات تبا لكِ (د) أين خبأت تلك... قالتها باغتياظ وصمتت.

- هيا لنذهب الآن، الجيد أن الفيلا خالية يبدو أنه قرر الرحيل لبعض الوقت هذا يعطينا المزيد من الوقت لتدارك الأحداث.

- عذراً سيدة (م) قلت لك: كان من الغباء إرسال (ه) إلى مثل هذه المهمة، لا أعلم ماذا كنت تتوقعين منه بعد أن يعلم من هوية المقصود؟!

أثار الحديث فضول (س): السيدة (م) كيف يمكنني النظر إليها أرغب بشدة أن أعرف من هي؟

عاد الهدوء إلى الأرجاء وفي هذه المرة طال جداً انتظر قليلاً قبل أن يتأكد تماماً بخلو المكان، إنه الفجر بدأت الشمس بالارتفاع، أيقظ (هـ) فتح الباب ونهضا ليرحلا.

نظر إليه (هـ): إلى أين تنوي الذهاب؟

- لا أعلم لا بد أن نجد مكانا نأوي إليه حتى تشفى جراحك ونلتقط أنفاسنا قليلاً، كانا يومين شاقين جداً.

- لندخل إلى الفيلا، لن يأتي أحد الآن ببساطة الصباح كاشف وليس من خططهم كشف هويتهم أو فضح أمرهم أمام أهل القرية، ثق بي.

- حسناً سوف أدخلك الفيلا أولاً ثم أذهب إلى مطعم العائلة (إد) لإحضار بعض الفطائر.

- لا، لا تذهب إليه، أرجوك حاول تجنبه في هذه الأيام ودعه يظن أنك غير موجود في القرية، هذا أفضل.

- حسناً لنقم إذن بصنع بعض الطعام بنفسنا.

دخلا إلى الفيلا في قلق وتلفت.. أوصدا الأبواب والنوافذ وأغلقا الستائر، جلس (هـ) على كرسي قرب باب المطبخ فيما توجه (س) لتحضير بعض الطعام وإحضار حقيبة الإسعافات الأولية.. في هذه الأثناء فكر (هـ): لا بد من وجود مكان ما في هذا المنزل نحتمي به يصعب

الوصول له، ثم توجه بالسؤال: هل في المنزل غرفة لا تدخلها مطلقاً، أي: من الصعب الدخول لها؟

- لا أظن هذا، هناك غرفة الطعام والجلوس وغرفتي الضيافة وغرفة السيدة (ن) وغرفتك، والتابعة الأثرية التي وجدناها. قالها متهكماً بانزعاج وكأنه ينسب لها صفة لعنة حلت بهم. ولكنها الطريق الوحيد لمعرفة الحقيقة!

صمت قليلاً يفكر ثم أكمل: لقد وجدت خريطة تدل على وجود سرداب غريب كما توضح وجود غرفة أخرى لا أعرف طريقها.

- (هـ): أين هي؟ أرني إياها.

تردد في إظهارها له للحظات: لا داعي للحذر مني.. ما عدت منهم يمكنك الثقة بي الآن (س).

- أتمنى أن لا أندم على هذا لاحقاً، فرد الخريطة أمامه لعله يساعده بكشف الطريق للغرفة تلك.

- بالمناسبة (هـ) ما كنت تقصد بتلك الأرقام؟

- عن أي أرقام تتكلم؟

- تلك التي كتبت على قائمة الفندق، ألم تكن أنت من كتبها؟

- أنا لم أكتب أية أرقام، أجهل عما تتكلم!

أخرج القائمة ليريها له متطلعاً لإيجاد جواب لهم [٣,٢ / ٨,٥].

- (هـ): علينا الحذر، لعلها مصيدة للإيقاع بك، لا بأس أن نبحث بها أولاً.. هل فكرت باستعمال البوصلة؟

- في الحقيقة لم يخطر ببالي نهائياً وللعلم أنا لا أملك واحدة أصلاً، على أحدنا قصد محل... اممم ربما أجد مطلبنا في محل بيع مستلزمات الحدائق، أو يمكننا أولاً البحث في أغراض أبي القديمة.

- أين هي؟

- في مستودع المطبخ، سأذهب لإحضارها، انتظرني، ها هي لنأمل أن نجد واحدة.

فتح (س) صندوق العدة يبحث فيه بينما أتم (هـ) الاطلاع على الخريطة، وفجأة ارتفع صوت (س) قائلاً: وجدتها ولكن وجدت شيئًا أخر معها تعال و انظر لما وجدته هنا.

اقترب منه ليرى ما عثر عليه بفضول، صورة أبيه مع طبيب القرية، كان يبدوان على معرفة وثيقة، للمرة الأولى أدرك (س) أن أباه كان يعمل ربما طبيبا أو ربما صيدليا.. شيء له علاقة بذلك، كانا يرتديان سترة طبيب إنما المكان كان أشبه بمختبر كبير!

نظر (هـ) إلى الصورة مطأطئا رأسه بنظرة مطولة: ربما كان متورطاً في عمل غير شرعي مع هؤلاء الأشخاص.

- أي نوع من العمل الخطر بالتحديد؟ ثم هؤلاء الأشخاص يبدو أنك على معرفة معهم بشيء لا تود اطلاعي عليه.

لمَ لا تخبرني أولاً باسمك الحقيقي؟

- عزيزي (س) سوف أخبرك عما تريده لكن ليس الآن، كفاك إلحاحاً، الوقت غير مناسب لنجد حلاً للخريطة اولاً ونعجل بوجود الغرفة إن كانت أمنة لنأوي بها لليوم، احتفظ بالصورة و أبحث إن كان هناك شيء أخر، هات البوصلة أنا سوف أبحث عن هدف تلك الأرقام.

فتح البوصلة وتأكد من صحتها أولاً، ثم قام ليبحث عن الاتجاهات إن كانت سوف توصله لشيء مهم، بعد بحث مطوّل وجد بنفسه يخرج إلى حديقة المنزل الخلفية ولسبب ما توقف (هـ) أمام النافورة ونظر ملياً للتمثال محدثاً نفسه: ذاك الشاب أنا على ثقة أنه علقت بعض الأحداث في ذاكرته بالرغم من صغر سنه حينها.

استمر بالبحث حتى وصل إلى لا شيء، مجرد فسحة فارغة مليئة بالأعشاب تبعد عن حديقة المنزل بعشرة أمتار: هذا لا شيء ثم إن الغرفة المشار لها و أيضاً السرداب في الخريطة، بعيدة تماماً عما وصلت إليه، نظر بالأرجاء ملياً: من هذه النقطة مطبخ عائلة (إد) واضح تماماً و أيضاً بعد التفحّص للمحيط، يا إلهي، كنت على حق إنها مكيدة للإيقاع به، لأسرع بالعودة قبل أن يلاحظوا وجودنا يجب الإسراع قدر الإمكان.

- أين أنت (س) علينا الذهاب بسرعة من هنا، لا يمكننا البقاء إن لم نجد تلك الغرفة!

- ماذا حدث؟ هل اكتشفت شيئا من تلك الأرقام، إلى أين أوصلتك البوصلة؟

- يحيطون بالفيلا، يستطيعون رصد ما يشاءون من أماكنهم.

وضعا الطعام في حافظة وجمعا بعض المستلزمات محتفظين بصندوق والده لعلهم يجدون به ما يفيد، مستعينين بحقائب ظهرية يسهل التحرك فيها ونقلها بأي لحظة.

قررا الاعتماد على خطواتهم في الوصول للغرفة تتبعاً للخريطة قدر الإمكان، حتى وجدا أنفسهم قد وصلا إلى جدار في آخر الطابق العلوي، وقفا يبحثان عن مدخل ما، في منتصف الحائط كان هناك ستار مخملي لا فائدة مطلقاً من وجوده في هذا المكان، إلا أن سيد (س) كان يظن طوال هذا الوقت أنه مجرد إكمال لديكور المنزل مع تلك الفخارة كبيرة الحجم، الملونة بنقشات مميزة.

نظر إليها (ه): أنا متأكد أن المدخل من هنا، أزاح تلك الفخارة لعله يجد شيئا خلفها، أما (س) فلفته رسم أبواب عليها: ما قصة الأبواب.. ليست مصادفة؟

نظر إلى رسم الأبواب.. كان هناك باب منتصف للفخارة وحتى حجمه يدل على باب صغير أشبه بنافذة، حينها نهض مستطرد (ه): الستارة خلفها الباب علينا الإسراع بكشفه لعله يحتاج طريقة لإخفائه

لاحقاً، يجب أن نعيد الفخارة لما كانت عليه أيضاً مع التأكد بأن يكون رسم الأبواب باتجاه الحائط.

أحضر (هـ) كرسيا وقف عليه ليبحث تحت الستارة متمسكا بحبلها وإذ بالحائط يتراجع للخلف.. دفعه للجانب.. إنه ممر هذا هو، إنما إلى أين يؤدي ما ينتظرنا بعده؟

قفز (هـ) أولاً مستعيناً بوقوفه على الكرسي، ثم أعاد (س) الكرسي مكانه والفخارة أيضاً وناول (هـ) الحقائب والصندوق، ثم قفز مستعينا بالفخارة تسنده بشكل خفيف مع إمساك (هـ) بيده، أعادا الستارة على حالها ثم الحائط المتحرك، وأكملا سيرهم في الممر وكان أشبه بالصعود قليلاً، حتى وجدا أنفسهم داخل غرفة كبيرة مؤثثة بشكل جيد بنافذة عاكسة لا يكشفها أحد خارجاً، لدرجة أنه طوال تلك الأعوام ومع تأمله لفيلته مراراً إلا أنه ولا مرة لاحظ وجود نافذة كبيرة، كل ما كان يراه فقط قبة الفيلا المزخرفة الذي تدل على الفخامة.

كان هناك هاتف لا يعلم إن كان يعمل وما هو رقمه، مكتب فخم مع حاسب آلي والكثير من الأوراق والأشرطة والسيديهات، مع راديو ضخم قديم الطراز وشاشة مراقبة ومنظار كبير، هذا الذي كان مميزا بتلك الغرفة أما البقية فكانت المألوف من الأثاث، مطبخ صغير مع سرير كبير وكنبة مريحة وكرسي.

قام (س) بعد أن اطمأن للمكان وشعر بأنه أمن للذهاب قليلاً: أين أنت ذاهب الآن يا (س)؟

- أستغل حماية النهار وأحضر سلحفاتي وطيوري من السيارة بالإضافة إلى ذاك الرف، لا تنس أننا لم نستطع ترجمة تلك الجملة بعد، لن أتأخر، هي قريبة بالفعل، خبأتها مقابل الفيلا.

- حسناً بانتظارك، كن على حذر.

بعد نصف ساعة كان قد عاد (س) ومعه كل الأغراض مع الحرص على تقريب مكان وقوف السيارة؛ للاحتياط إن احتاجها في أي وقت عاد إلى تلك الغرفة حريصاً على إرجاع كل شيء كما كان.

جلسا يتناولان الطعام أخيراً وللمرة الأولى منذ أسابيع شعر (س) بالارتياح قليلاً، بعد أن عُقِمت جروح (ه) دخل كل منهم بنوم عميق، عندما استيقظ (س) فوجئ بـ(ه) يجلس عند النافذة يتأمل صورة والده مع الطبيب وعيناه تدمع فقام إليه: ما بك تتأملها كما لو كنت تعرفهم حق المعرفة؟

- اجلس يا (س)، اسمي هو (ج) نادني به من الآن فصاعداً لو سمحت.

- حسنا ماذا يجب أن أعرف أيضاً... عفوا، هل قلت لي اسمك (ج)؟!

- هل يذكرك هذا الاسم بشيء؟

- الصورة الجماعية والقلادة، الطفلان!

- الصورة التي بحوزتك السيد (ك) والدك كما كان والدي، والسيد (ر) ذو المكانة الرفيعة الذي كنت أعمل لديه في المدينة أخبرتك عنه سابقاً، أما السيد (ص) فهو مدير مركز شرطة القرية، السيد (و) صاحب الفندق الذي أقمت به لفترة، أما السيدة (م) التي ادعيتُ الارتباط بها فما هي إلا ابنة الرئيس وزوجة أبينا التي أقحمت أسرتنا بتلك المصائب كلها، كما كانت السبب في أذية والدتنا (د).

جلس (س) وهو في حالة ذهول شديدة يستمع إليه: كنت صغيراً عندما حدثت الأمور ربما تذكر بعض الأشياء البسيطة بشكل مبهم. لاحظت هذا من تلك النافورة ذات التمثال التي في الحديقة، والمرأة المعلقة بخيط شمس، و أيضاً مما ذكرته أمامي في المطعم عن الذكريات والأحلام التي تراودك.

- شعرت أنها تطلب النجدة، لم أفهم السبب فقط كانت مألوفة لي.

أكمل (هـ): كانت البداية في منزل قديم بسيط حين تعرف والدانا على بعض الأشخاص وبدآ كل ليلة في حفلات القمار والشرب والعزف إلى طلوع النهار، بعدها اتسعت دائرة الصحبة حتى دخلتها (م) وبدأت بالتقرب من والدنا وفعلا وصلت إلى ما طمحت له وتزوجها، ثم بدأت تدخله بعمل مع والدها الرئيس والمجموعة نفسها، استطاع من خلاله

وبفترة صغيرة ربح الكثير من الأموال وبناء هذه الفيلا، استمر على هذا الحال.

في هذه الأثناء تغيرت علاقته بأمنا بشكل كبير أصبح يتجاهلها دائماً وأحياناً يتعدى عليها بالضرب، ولما زاد العمل بشكل مريب كثرت الشجارات بينهما وعلى ما يبدو أن أمنا لاحظت أمرا لا يسر، متأخرا، ورغم عدم معرفتها بنوعيته نهته عنه فما كان منه إلا ربطها في تلك الغرفة وقام بتعذيبها والتطاول عليها أكثر من ذِي قبل.

قطب (س) حاجبيه غاضباً وصارخاً: تباً.. يا له من وغد حقير! آه يا أمي، نظر له بهدوء وحزن والطفلان (س) أنا و...؟

- نعم أنا (ج).

- كيف دخلت معهم في هذه المتاهة؟

- كنت بسن الثامنة فقط، كان عمري جيدا لاستغلالي حينها، أدخلوني معهم بأشياء بسيطة في البداية بعد فترة قصدا إبعادي عن المنزل، وقيل لي في تلك اللحظة أنك وأمي رحلتما، وما عدت أعرف شيئاً عن أخبار الفيلا حتى إني نسيت القرية بأكملها، أخذاني إلى المدينة ونشأت بها حتى أنهيت مراحلي الدراسية ودخلت كليه الحقوق وبواسطة من الرئيس تسلمت مكتب محاماة، وانخرطت بالعمل بشكل سريع، بقيت الشلة كما هي تجتمع كل فترة وأخرى في المقر بالمدينة، والدنا منذ فترة طويلة ما عدت أعرف عنه شيء كل الذي أعرفه أنه سافر للخارج

للعمل وبعدها انقطعت عني أخباره تماماً، ثم أمرت بالمجيء إلى القرية في مهمة التخلص من أحدهم.

بقي (س) صامتا.. لم يعد يعلم ما يفعله الآن، هل يسعد بوجود أخ له يسنده في كل تلك المصائب ويكون عوناً أو عليه أن يخاف؟ نظر له برعبٍ شديد ووجهه شاحب اللون سائلاً إياه: هل تقصد أن مجيئك إلى هنا كان للتخلص مني؟

- أحمق.. لا شك بذلك، ليس منك، بل التخلص من السيدة (ن) كم هي حريصة عليك تلك المرأة، على ما يبدو أنها تعرف شيئاً خطيراً جعلهم يخططون للتخلص منها بأي وسيلة كانت، خافوا أن تضعف أمام عندك وإلحاحك المستمر وأن تفصح بما لديها، غايتهم عدم كشف أمرهم.

- إذن هل أنت من تخلص منها؟ هي لم تختفي وحسب سمعت (م) تقول هذا في تلك الليلة عندما اقتحموا المنزل؟

- ما زالت بخير، في الأمس وكلت لي مهمة التخلص منها، لم أستطع فعل ذلك فخبأتها في مكان مؤقت، ولكن يجب المحافظة على هذا السر الآن، يشغلني كيف عرفوا بفتح الغرفة؟

رغم كل تلك الأحداث الممقوتة إلا أن خبر السيدة (ن) كان كفيلا بإعادة السعادة لقلب (س) كما وأخيراً شيء من الارتياح بدأ يتسلل إلى نفسه لوجود أخيه بجانبه.

- تكلمنا بما فيه الكفاية، وراءنا الكثير لفعله، يجب أن نعرف ما الذي أخفي في هذا المنزل، أين والدانا؟ ولمَ كل هذا التخطيط؟ ثم علينا اكتشاف أين السرداب وإلى أين يؤدي؟ لو تعرف ما رأيته حين خرجت أتبع البوصلة.. رأيت مطعم عائلة (إد) وعيادة الطبيب والقصر الكبير في أعلى التلّة، هو ذاك المقر إن لم أخطئ.

كيف تمت محاصرة المنزل بهذا الشكل المتقن؟ لا أعلم إن كانت فكرة من (م) لتبقي والدينا تحت أنظارهم، وجود سرداب يعني أن هناك جهة أخرى ترتبط في هذا المنزل، إذا كانت هذه الغرفة محمية بهذا الشكل ومرتبة ومجهزة كما أرى فيمكن التخمين أن من أسسها والدانا لسبب ما، أما وجود سرداب فلا أظن أن والدينا هما من أسساه، لا أعتقد أن أي عائلة لا ترغب في ربط منزلها بأي جهة أخرى مهما كانت الظروف!

- هز (س) رأسه بالتأييد: معك حق، الصورة تم معرفة الأشخاص بها كما وصلنا للغرفة، واكتشفنا هذا المكان أيضاً فلنتابع البحث إذن في المذكرات؛ فتحا المذكرة وبدآ في القراءة.

"شعرت بالخوف حقاً لم أستطع تصديق ما رأيت.. كانت أعمال المنزل مرعبة، لا أصدق أن العمل يحتاج هذا النوع من القسوة.. كل ما استطعت القيام به حينها نفخ أنابيب التهوية في المنزل"!

"الحديقة اليوم كئيبة.. حاولت زرع البنفسج فيها لكنه رفض النمو في أرض لا ينتمي لها، رقيق هو البنفسج لا يستطع الصمود طويلاً"!

"كانت الأرض غير مستوية وحاولت تعديلها بوضع بعض الإضافات، أرضية تالفة تحتاج لإعادة النظر بها"!

- حسنا يا أخي (س)، لنحاول إيجاد معنى لكل ما نقرأه هنا، لعلنا نصل لجواب يفيد.

- في الصفحة الأولى يبدو أن والدتنا اكتشفت أمراً أرعبها، لكن المنزل لا يوجد به أنابيب تهوية!

- لعله أنبوب فقط في إحدى الغرف؟

- لا يوجد أنابيب في المنزل سوى في الحمام الرئيسي، لكن إن كان هناك شيء فيه فمؤكد أنه أتلف مع مرور الزمن.

- لينزل أحدنا إليه ويرى، في هذا الوقت على الآخر تشغيل الشاشة لنرى ما الذي تظهره لنا وبعدها نتفقد الحاسب.

- أنا سوف أذهب للتفقد إذن.

نزل (س) إلى المنزل بهدوء وحذر؛ خوفاً من أن يأتي أحد بشكل مفاجئ، اتجه إلى الحمام الرئيسي وأغلق الباب بالمفتاح وبدأ بتفحص الأنبوب، في هذا الوقت أول ما فعله (هـ) كان تشغيل شاشة ليكتشف أن الفيلا مراقبة من جميع الاتجاهات، إنما لا يوجد مراقبة بداخلها فتأكد من خلو محيط الفيلا، نظر من خلال المنظار الكبير ليرى ما سوف يشاهده من خلاله، كان يطل على القصر فوق التلة.. إذن كان على صواب في تفكيره أنها المقر لهم، اتجه للحاسب شغله وبدأ بتصفح الملفات التي عليه: هناك ملفات كثيرة الأفضل تصفحها وعند عودة (س)، فتح الراديو ليستمع إلى بعض الموسيقى الهادئة للترويح عن نفسه إلى أن يعود أخوه.. غريب أمر هذا الراديو ولا أي إذاعة يلتقط.. بقي يضغط على أزاره بشكل عشوائي إلى أن التقطت إشارة لم تكن مجرد إذاعة عادية.. كانت كما التقط اتصالا بين طرفين!

سحب الكرسي على عجل وأمسك بورقة وقلم وجلس يستمع باهتمام إلى كل كلمة تقال: نعم لا بد أن نجد طريقة أخرى.

- سيفضح أمرنا.

- أخبرهم بالتوقف عن العملية وتأجيلها إلى أن يهدأ الوضع قليلاً.

- هل لاحظت أي شيء جديد؟

- لا جديد سيدي، إنما في الصباح الباكر سوف أذهب لتفقدها عن قرب في حال لاحظت شيئاً سوف أخبرك، ربما التخلص منهم أفضل، يجب التفكير في هذا سيدي.

- ليس الآن.

عاد (س) إلى الغرفة متأكدا كما سبق من إعادة كل شيء كما كان حتى لا يستدل أحد على الغرفة.. لقد عدت، هل اكتشفت شيئا جديد؟

- نعم، أقفل (هـ) الراديو على نفس التردد والتفت إليه: سمعت للتو مكالمة التقطت عبر الراديو، علمت الآن لمَ هو راديو كبير قديم الطراز، القديم ينفع أكثر من الحديث أحياناً.

- هل وجدت شيئاً في الأنابيب؟

- لم أجد شيئا غير أني سمعت بعض الأصوات الغريبة، ورغم برودة الماء إلا أن الأنابيب كانت حارة جداً.

- غريب حقاً، إلى أين تمتد تلك الأنابيب؟

- إلى الحديقة الخلفية على ما أظن.

- إذن لننتظر الوقت المناسب للخروج إلى الحديقة يمكننا الآن الاكتفاء بالمراقبة من هنا، ربما يقصدنا زوّار في الغد الآن لأخبرك عما توصلت إليه في غيابك، المنظار الكبير، إنه يطل على القصر في أعلى التلة كما أن المكالمة التي سمعتها للتو عبر الراديو تفيد أن هناك عملية

ما بصدد القيام بها وقد تأجلت، يبدو أن التخلص منهم بات قريب، هناك عين عادلة بدأت بالتفتح عليهم.

أيضاً تبين لي أن الشاشة متكفلة بمراقبة الفيلا بالكامل من الخارج فقط، أما الحاسب فيه ملفات كثيرة فضلت انتظارك لنطلع عليها سوية.

- جميل جداً إذن لنصنع لنا كوبا من الشاي ونجلس بروية نستطلع ما فيها.

في البداية كانت مجرد صور عائلية عادية جداً، جلسا يتفرجان عليها وقد اعتلت على ثَغركل منهما ابتسامة حنين، في أحد الملفات كان هناك ملف مستندات وصور أيضاً ميزعنهم بصورة مخالفة من أدوات الحاسب، عند فتحه بدآ بالصور أولاً، حينها فهما عمّ كانت تتكلم الأم وما الذي جعلها تصاب بالذعر.

الصور الأولى كانت بالغرفة التي وجدوها خلف المكتبة، على السرير الحديدي الصغير كان هناك جثث والأصفاد تربطهم، شيء منهم بحالة غريبة والآخر يبدو بوضوح أنه تعرض لجراحة في إحدى أعضاء جسده، انتفضا من مكانهم.. سرت القشعريرة في جسدهم من بشاعة المنظر: ما هذا بحق الله؟!

همّا بفتح المستندات إلا أنه سمع صوت سيارة تقترب فنظرا عبر الشاشة، إنه السيد صاحب مطعم عائلة (إد) حام حول الفيلا قليلاً ثم اتجه مقتحما الفيلا، صمت كل منهما وتأكدا من إقفال هواتفهم وأي شيء قد يصدر صوت يدل على مكانهم، نظر (هـ) إلى أخيه متسائلاً: هل تأكدت من أنك أعدت كل شيء إلى ما كان عليه؟

- نعم لا تخف تأكدت أكثر من مرة أيضاً.

استمر تواجد السيد صاحب المطعم لأكثر من ساعتين ونصف ولم يفهما سبب مكوثه تلك الفترة المطولة، بعدها سمعاه يتكلم على الهاتف: يبدو أنه كان هناك أحد ورحل ولا جديد في المكان مطلقاً سوى أن الستائر مغلقة، سوف أرحل الآن وسأعين شخصا لمراقبة المكان أكثر.

بقي كل من (س) و(هـ) في انتظار حتى شاهداه على الشاشة ركب سيارته و ابتعد جداً.

- يا إلهي كاد يفضح أمرنا، لولا هذه الغرفة لا أعلم ما كان سيحل بنا قالها (هـ) برعب شديد.

- (س) كيف سنستطيع معرفة سر الأنبوب والبحث عن السرداب الآن، أما سمعته وهو يقول إنه سيعين شخصا ما لمراقبة المكان عن كثب؟

- لننتظر إذن لعل شيئا جديدا يخرجنا من هذه الورطة، دعنا نستريح قليلاً وبعدها نعاود البحث في الملفات.

في تمام الساعة الحادية عشرة صباحاً استيقظ كل منهما وتناولا الإفطار وعادا للنظر في المستندات، كانت تتكلم عن جرعات كيميائية وعن تجارب تجرى على الأشخاص، لم يفهما محتواها كونها تحتوي على رموز طبية كثيرة. نظر (س) إلى أخيه يبتسم بسخرية قائلاً: الآن علمت ممّ كانت عزيزتي تخاف والأهم من هذا أنه من المؤكد إذا علموا بهذه الغرفة سوف تهدم الفيلا فوق رؤوسنا.

هز (هـ) رأسه بالتأكيد على كلامه: الأمر فعلاً خطير أكثر مما ظننت.

نظرا كلاهما إلى الشاشة ليرى إن كان هناك أحد في الخارج، الوضع يبدو آمنا لكن لا يستطيع أحد منهم المغامرة الآن، فتح (هـ) الراديو لعله يلتقط شيئاً، هدوء ولا أي صوت على الإطلاق.. أعاد إطفائه وجلس على

جانب السرير ينظر إلى دفتر الذكريات، خطر في باله فجأة أن يطرح ذاك السؤال الذي زلزل قلوبهم: يا ترى هل والدانا على قيد الحياة أو حتى بخير؟

رن هاتف (هـ) مقاطعاً سؤاله، إنها السيدة (ن)، أجابها بقلق شديد ذاكراً تحذيره لها أن لا تكلم أحداً ولا حتى أن تتصل به إلا إذا كان هناك خطر: نعم سيدة (ن) هل أنت بخير؟

- سيد (هـ) كان هنا أشخاص منذ قليل تفحصوا المكان ثم رحلوا كانت معهم السيدة أيضاً، أنا خائفة جداً وأرجوك ساعدني!

- حسناً سوف أجد حلاً لك، حافظي على هدوئك وتأكدي من أن لا تصدري أي صوت يرشد إلى مكانك.

أغلق هاتفه وهو عاقد الحاجبين: أخي السيدة (ن) في خطر.. بطريقة ما وصلوا إلى المكان الذي خبأتها فيه، كيف استطاعوا معرفة أنها ما زالت بخير ومكان إقامتها؟

يجب علينا الإسراع لنجدتها الآن في الحال، سوف أذهب لوحدي.. الحل الوحيد هي انضمامها لنا هنا، فقط أعطني مفاتيح السيارة وتأكد أن تراقب أرجاء المكان وإطلاعي باستمرار على كل جديد.

- حسناً حاول أن تسرع وكن على حذر.

هم بالرحيل فوراً إلا أنه فكر أن من الخطأ استقلال سيارة أخيه فسوف يلفت النظر بالفعل، اكتفى أن يأخذ سترة ووشاحا لها، تسلل إلى الطريق العام واستقل سيارة أجرة إلى أقرب مكان لها وتابع المسير بهدوء إلى أن وصل إليها: الحمد لله أنت بخير.. سعيد أني وصلت إليك بسرعة، ارتدي السترة والوشاح ولننطلق من هنا على عجل، سوف نسلك طريقا مختصرا للطريق العام للعودة إلى الفيلا و...

- صاحت به السيدة (ن): الفيلا، لا بد أنك جننت، فقدت عقلك من هول الأحداث هذه!

- لا تخافي، ستفهمين كل شيء قريباً.

اتجها بسرعة إلى الطريق العام، وعندما وصلا للفيلا لاحظا وجود عامل الصيانة على بعد ثلاث أمتار من مدخلها، تسحبا ببطء من باب المطبخ الخلفي دون أن ينتبه لهما وجريا إلى مكان الغرفة، فتح الحائط رفعها بشكل سريع وقفز خلفها، أسدل الستارة بشكل جيد وأغلق الجدار ودخلا إلى الغرفة والسيدة (ن) في ذهول من وجود هكذا غرفة في المنزل، هجم (هـ) على أخيه مغتاظاً: كيف لك أن لا تخبرني بوجود شخص بالجوار، ما بالك؟

وجد وجهه مخطوفا ولسانه كأنه قطع، يتلعثم في كلام غير مفهوم ويشير إلى جهاز الحاسب برعب لم يسبق أن رآه على أحد سقط بعدها مغشياً على الأرض، سارعت السيدة (ن) بإحضار بعض الماء له فيما سحب (هـ) الحاسب باتجاهه ليتطلع على ما فيه، كان هناك فيديو لقد وضع أحد السيديهات، نظر إلى أخيه والسيدة (ن) واشغل الفيديو وللحظة اعتراه شعور بالندم لذلك، كان وقع ما رآه شديدا عليه كما كان على أخيه.. كاد أن يغشى عليه هو الآخر إلا أنه تمالك أعصابه ليرى المزيد، أراد أن يفهم حقاً ما يحدث هنا، كان الفيديو يصف حالة طفل صغير لا يتجاوز عمره خمس سنوات، أجريت عليه بعض التجارب لتحويل بعض الصفات البشرية فيه مستعينين بجينات حيوانية مع تصوير مراحل التغيير التي أصابته سواء في شكله أم تصرفاته، تحول من طفل بريء إلى ما يشبه الكلب المذعور.

أقفل الحاسب جلس على الأرض بجانب أخيه في حين بدأ (س) باستعادة وعيه عانق (هـ) بشدة وبكى: هل كانا والدي معهم في تلك الجرائم؟

صمت (هـ) عاجزاً كل العجز عن إعطاء إجابة ثم أردف بصوت يرتجف: العامل الذي جاء ليساعدني بالغرفة، إنه يراقب الفيلا، استطعنا الإفلات منه والدخول دون أن يرانا، يجب إقفال هواتفنا حالاً وعدم إصدار أي صوت إلى أن نتأكد من خلو المكان.

- الآن فهمت معرفتهم لفتح الغرفة، لفته نظري للغرفة ومن ثم التراجع عن خدمتنا فيها فيجب الحذر تماماً، من الجيد أنكِ معنا الآن سيدة (ن) هنا نحن في أمان، مضى وقت وهم صامتون يفكرون باستدراجه إلى داخل الفيلا وتقييده، بعدها نهض (س) موجهاً كلامه لأخيه: سوف أنزل إليه وسأحدث ضجة داخل المطبخ ولتكن متجهزا للقبض عليه، لننظر من النافذة أولاً للتأكد إن كان لوحده أم معه أحد.

نزل (س) و(هـ) إلى الفيلا بهدوء اختبأ (هـ) بغرفة الطعام ودخل الثاني إلى المطبخ واصطنع بعض الضجيج الذي نجح بسحب العامل إلى الداخل، كانت ضربة واحدة على رأسه كفيلة بإفقاده وعيه، قيداه بشكل سريع وألقوه بغرفة السيدة (ن) و أقفلا الباب عليه ليتركوه مقيداً بداخلها، ثم عادا للسيدة (ن) التي حضرت لهم القليل من الطعام، جلسوا يتناولون الطعام وفي خضم كل تلك الأحداث صدرت من السيد (س) ضحكة غريبة دفعتهم للنظر إليه بتعجب، قال ضاحكاً مع السيدة: عزيزتي أكلك لا يضاهيه أي طعام وإن كان قليلاً من البيض.

ضحكت بحنية لا مثيل لها: الطفل العزيز، أيها المدلّل العنيد الجالب للمشاكل، ابتسم لهم (هـ): أكره مقاطعة لحظة ود كهذه، إنما ما دمنا استطعنا ربط العامل يمكننا الآن استغلال منتصف الليل للنزول إلى الحديقة، يجب أن نجتهد لنجد باب السرداب.

جلست السيدة (ن) تنظر إلى الغرفة تتساءل: متى وكيف أنجز كل هذا دون أن تشعر به، إلى أن وجدت الرف الموضوع على جنب السرير وأمسكت به متسائلة: ما قصة هذا أيضاً؟

- لقد وجدناه في غرفة أمي التي كانت مقفلة، عليه جملة ما يبدو أنها بالروسية، أجابها (س) ببرود وهو ينظر عبر النافذة إلى الحديقة يتأملها جيدا.

- ليست بالروسية.. أخطأتما للأسف إنما هي كلمات بسيطة فقط كتبت بطريقة عشوائية.

سارعا إليها متلهفين إلى معرفة ما تعنيه: إنها تعني السرداب حرارته ترعبني، على ما يبدو أنها كانت بحالة تشتت فيها تفكيرها كليا حتى لم تستطيع كتابة الكلمات بالشكل الصحيح.

- أردف (هـ): لا بد إذن أن ننزل اليوم للحديقة لتتبع الأنابيب.

عند حلول الليل واشتداد العتمة نزلا مع قناديلهم الصغيرة يتسحبان، وبقيت السيدة تراقب الشاشة، لحقا امتداد الأنابيب من الحمام إلى الحديقة حتى وصلا إلى بقعة في طرف الحديقة، أزاحا عنها

الحشيش: وكأنه كان هناك بئر في هذا المكان، هز رأسه (س) نافياً وجوده، تحسسا الأرضية بشكل جيد إلى أن وجدا خطا مستقيما من الحديد وسارا خلفه إلى أن وصلا إلى يد باب مخفي، فتحاه ونزلا إليه وأشعلا القنديل وقفا على درجه قليلاً يحاولان سماع إن كان هناك أي صوت في الداخل، وعندما شعرا بخلو المكان أكملا النزول اليه.

كان عبارة عن ممر طويل واسع، فيه فرن كبير يعمل بالخشب من النوع المخصص لحرق النفايات وغيرها، أجهزة غريبة و أقفاص وثلاجات كثيرة.

شد (س) يد أخيه: لنخرج الآن يكفي ما وجدناه وما رأيناه من الخطر البقاء أكثر هنا.

- (هـ): أود بشدة أن أعرف إلى أين يتجه الممر!

- عند خروجنا يمكن التخمين فقط لنحفظ اتجاهه.

خرجا مسرعين عائدين إلى داخل الفيلا للجوء إلى الغرفة الأمنة من جديد، وللتفكير ملياً بالخطوة التالية حان وقت التحرك.

عندما عادا للغرفة وجدا السيدة (ن) نائمة لم يستطيعا إخبارها بشيء عما وجداه، وقفا إلى النافذة ينظران إلى اتجاه الممر وكان من المتوقع لديهم أن يؤدي إلى القصر في أعلى التلة، إنما كانت المفاجأة الأعظم أنه يؤدي إلى مطعم عائلة (إد).

سأل (س) أخاه: هل عرفت يوماً هوية الرئيس يا أخي؟

- لم أتعرف عليه قط، فغالباً ما يعطي أوامره من خلف الستار، حتى في الاجتماعات كان يوكل أحداً من المجموعة ليتكلم على لسانه ناقلاً كلامه.

- ما علاقة مطعم العائلة، لمَ السرداب يتجه إليه ليس إلى التل؟

- (س) هل رأيت تلك الأقفاص؟

- طبعاً رأيتها، لدي الفضول لمعرفة ما فيها.

- والثلاجات كانت كبيرة جداً!

- آه، صحيح، لنخلد إلى النوم.. أشعر بالتعب جداً، أخي ما رأيك لو وضعنا شيئا خلف الحائط المتحرك؟

- لماذا تقول ذلك؟

- مجرد فكرة خطرت لي.

- ما دام خطرت في ذهنك.. إذن لتأخذها على محمل الجد، لنتساعد في إيجاد قطعة ثقيلة يصعب إزاحتها.

بحثا في الغرفة حتى وجدا أثقل الموجود ووضعاه خلف الفتحة وعاد (ه) للنوم، بينما بقي (س) مستيقظ يهتم بطيوره وسلحفاته حتى غفا بجانب النافذة.

في صباح اليوم التالي وفي وقت مبكر جداً استيقظ الجميع على ضجيج في القرية ليجد (س) صاحب مطعم عائلة (إد) يتصل به.

رد عليه مذعوراً: ألو السيد (س) يتكلم.

- مرحبا سيد (س) هل أنت في القرية؟

- أنا خارج القرية الآن، لماذا؟

- أحتاجك بأمر خاص.. ليس بالأمر المهم، رجاءً إعادة الاتصال بي فور رجوعك للقرية.

- حسناً، ما تلك الضجة التي أسمعها لديك؟

- إنه عامل الصيانة وجد مقتولاً في الصباح الباكر.

أقفل (س) الهاتف، ينظر إلى الطريق المؤدي للفيلا بصمت، مقطب الحاجبين.

ماذا هناك من المتصل؟ سأله (هـ) بفضول.

قتل العامل هل تصدق، ألم نوثق ربطه بإحكام؟

- مستحيل لقد أقفلنا عليه الغرفة ثم لا أحد يعلم بوجوده هنا أصلاً!

- السيدة (ن) لم يكن هو الذي يراقب الفيلا إذن، كان هناك شخص آخر يراقب الفيلا وتحركاتكم خارجها.

- (هـ): على هذا من المؤكد إذن أنهم عرفوا أننا وصلنا للسرداب ودخلناه.

- (س): إذن هم يعلمون تماماً أننا داخل الفيلا الآن.

- ألم تقل لي أمس أنك تفكر في سد الحائط بشيء ثقيل، هل فهمت الآن لم قلت لك افعل ما تقوله لك نفسك؟

أصدق جندي يخبرك بأن هناك خطبا ما هي النفس، وربما نفسك هي التي أنقذتنا من أن تكشف الغرفة.

- (س): تعني أن بعد دخولنا للغرفة واختفائنا، وبعد أن تأكدوا أن الجميع خلد للنوم دخل أحد الفيلا وفتّش فيها حتى وصل لعامل الصيانة وقتله، لكن لماذا؟ ما ذنبه؟

- السيدة (ن): رأى وجه أحدهم على الأغلب، وثانياً: وجوده بالقرب من الفيلا بانتظار أن يظهر أحدكم كان لديه شيء يطلعكم عليه ولكن سبق قوله فعلكم المتعجل، وثالثاً: هي رسالة تحذير لكم، ربما اقتربا من الوصول إلى مكاننا، اتصال صاحب المطعم مؤكد أن من ور ائه شيئا لا يحمد عقباه، عاودوا غلق الهو اتف فوراً وممنوع إشعال راديو أو أي شيء يصدر صوت وحتى الأضواء يجب إقفالها والاعتماد على أي ضوء خافت، أما الأرضية فلا خوف يبدو تماماً من ملمسها أثناء سيري عليها، تم تبطينها بسماكة تمنع وصول الصوت للطابق السفلي ولكن للاحتياط لنبتعد عن تحريك أي شيء أو إزاحة شيء.

- هل ما يزال ذلك الحائط موصداً؟

- (س): نعم ما يبعث على الاطمئنان في النفس أن ما وضعناه ثقيل جداً، كافٍ لمنع أي شخص مهما بلغت قوته إزاحته.

- جيد، لنحذر إذن.

- (هـ): لكن من الذي يراقبنا؟ لنحاول إرجاع شريط شاشة المراقبة للوقت السابق.

جلسا يعيدان شريط المشاهدة لشاشة المراقبة ويتمعنان به حتى وصلوا لما حدث في الأمس تماماً، كانت الكاميرات ترصد حركة لم يلاحظها أحد من اتجاه السرداب قبل نزولهم بفترة وجيزة، عتمة الليل حافظت على إخفاء هوية صاحبها، بعد ساعة من خلودهم للنوم كان قد بدأ ضوء النهار بالاتساع لقطت حينها صورة الذي دخل الفيلا وكيف خرج ومعه جثة عامل الصيانة، مع ذلك لم تضح هويته كونه ملثم الوجه.

- إذن بات كشف أمرنا قريباً، صمت (هـ) محاولاً إيجاد حل بالإضافة إلا أنه ما يزال مصمما على العودة للسرداب.

- سيدة (ن): لقد كان والدكم مخطئًا بشكل كبير، كنت أخاف عليك جداً من أن تعرف شيئاً فتدخل هذه المتاهة لما رأيته أمام عيني حينها، رغم سخف ما رأيت إلا أنه كان كافياً لأخذ انطباعٍ جاد بأن هناك أمر خطيرا، وتلك ليست بمجموعة فحسب فهي مافيا تتحرك بتنسيق واتفاق كل ما يقومون به يحتاج تفكير مطول وتخطيط.

- (س): تلك الأوراق والمستندات والصور، وما وجدناه من فيديو كفيل بتورطهم إلا أنه لم يوضح أي شخصية للآن، كل ما وصلنا إليه لا يوضح لنا من هو المسؤول عن هذا كله، حتى أنت يا أخي رغم تقربك منهم إلا أنهم كانوا حذرين منك، وظفوك لديهم دون أن تعرف عنهم الكثير.

- (هـ): ما دام كل شيء للآن بحوزتنا فليس أمامنا إلا أن نتماسك ونكمل مشاهدة السيديهات.

وتولى كل من (س) و(هـ) بجمع السيديهات ليكملوا مشاهدة ما تحتويه، في الوقت التي طلبت السيدة (ن) أن تنظر إلى الأوراق التي على المكتب.

وضع أول السيديهات وأخفضا صوت الحاسب بما يكفي "المشهد الأول" كان مجرد أحداث بسيطة سهرة وطاولة شدة وضحك وحديث، فجأة تحول الضحك إلى شجار حاد وارتفعت الأصوات وكان هناك نقاش عن الغدر باتفاقية بين الطبيب والأب والسيدة (م)، الحديث كان غير مفهوم تماماً.. ربما وجود الأم كان يمنعهم من التكلم بوضوح.

البقية كانت كما أول السيديهات وضع، تصور فظاعة هذه المجموعة، ولا أي فيديو يتعلق بالسرداب هذا ما يؤكد تماماً أن السرداب صنع شخص آخر.

- (هـ): سيدة (ن) هل وجدت شيئا؟

- بعض أرقام الهواتف بالإضافة إلى هذه، اقتربت إليه تريه تلك القائمة ذكر فيها اسم طبيب القرية لأكثر من مرة، بمعرفة (س) للطبيب كان يجده شخصا مسالما لطيف المعشر باسما دوماً، هادئ الأعصاب بشكل مبالغ كافٍ للاستفزاز أحياناً، ورغم معرفته به وزيارته له أثناء الحاجة ولا مرة تكلم الطبيب عن والده ولم يذكر قط أنه على معرفة به.

القائمة بعضها يدل على اتفاقية ما، والآخر يدل على جرعات مواد مجهولة كما أن هناك قائمة بأعداد لم يعرف بعد على ماذا تدل، في هذه الأثناء دون أن يشعر أحد كانت هناك جهة حكومية عالية قد بدأت بالفعل في كشف المزيد بعد ملاحقتها لتلك المافيا التي استغرقت منهم أعواما. جلس (هـ) يراقب حوله بالمنظار، ماذا كان يرى كل من والديه من هذه النقطة يا ترى؟ بقي المنظار موجها إلى القصر ولا جديد وليس هناك ما يستحق النظر إليه، مجرد قصر شبه مهجور يوحي أن فيه أحدا، قرر أن يزيح المنظار عن القصر لمراقبة شيء آخر فربما يرى شيئا في المطعم مثلاً، فجأة رأى أحدهم يتجه لعيادة الطبيب ثم خرج هو والطبيب باتجاه القصر دخلا إليه واختفيا فيه لمدة، وجه المنظار إلى أكثر من نافذة للقصر لعله يلمح ما يحدث، بعدها لم يجد إلا الطبيب ينزل لوحده من القصر ليعود ببرود إلى عيادته، أما الشخص الآخر بقي ملازما للقصر دون أن يلمح له أثر، همس للسيدة و(س) بأن يقتربا ليخبرهما ما رآه ونظر (س) باتجاه العيادة والقصر ثم نظر إلى المطعم: ما

الرابط بينها؟ ألم تقل أن مدير مركز الشرطة مشترك معهم.. لمَ لا يظهر إذن برفقتهم؟

- (هـ): مدير مركز الشرطة، لا أعلم إنما أظن أن دوره يتعلق بالقانون أو الحراسة.

- (س): صحيح على كل الضجيج الذي حدث اليوم، وكل ما يحدث في هذه القرية الصغيرة لم يتحرك أي أحد من الشرطة لو بتحقيق صغير أقلها.

- (هـ): ترى ماذا كانت تعني أمي بالزهر يرفض النمو في أرض لا ينتمي لها وأرضية تالفة تحتاج للنظر فيها؟ وبالمناسبة سيدة (ن) قبل هذه الأحداث كان قد سمعك عامل الصيانة تتحدثين على باب المطبخ الخلفي، مع أحدهم وكان يحذرك من كشف أي شيء، هل تستطيعين تفسير الأمر؟

سيطر على السيدة (ن) صمت مطبق إلا أن (س) كان ينظر لها نظرة شك غاضبة: تكلمي سيدة (ن) هل ما ذكره عامل الصيانة صحيح، لمَ لا تجيبين منذ البداية؟ ثم إنك تخفين عني الكثير وكنت كارهة لأن يدخل الفيلا أي شخص سوانا.

بكت قليلاً ثم قالت: أعرف بعض الأمور فقط.. لست منهم.. إياك واتهامي بتلك التهمة، كنت أساعد والدك في بعض الأمور أثناء تورطه، إلا أن الأمور خرجت عن حدها وبدأ بضرب أمكما والتهجم عليها وربطها ولقد فقد عقله تماماً، حاولت مساعدتها قدر المستطاع لكن...

- سيدة (ن) ماذا حدث لوالدينا؟ سألها (س) بينما كان (هـ) ينتظر الإجابة بفارغ الصبر.

- والدتكم لقد تكفلوا بقتلها.. عرفت أكثر مما أرادوا وشكلت خطرا بالنسبة لهم، لا أعرف ما هو تماماً، بعدها رحل والدك وأخوك عن القرية.

- (هـ): إذن من كان يتكلم معك في ذاك اليوم، لم تجيبين.

- إنه مدير مركز الشرطة، قام بتحذيري مما سوف يحدث في محاولتك لكشف الأشياء.

- (س): ما هي الأبواب السبع الذي كتبتها لي على الورقة يوم اختفيت؟

- ستة أبواب تدخلك الخطر: السرداب، والمطعم، وعيادة الطبيب والقصر، وفندق القرية وغرفة أمك أخفي خلفها ملحق سري كان باتفاق من المجموعة، وبدأ بغرفة سرية للعب القمار إلى أن أحكموا السيطرة على والديك وأجبراهما بشكل تدريجي لبدأ بعض العمليات

البسيطة فيه، ساعد في تأسيسه مدير مركز الشرطة.. هذا ما يفسر لكم وجود السرير الحديدي والأصفاد.

- ولا بد أن باب الإجابة كان المقصود به هذه الغرفة؟ ربما، لا أستطيع الجزم لك بهذا حتى ننتهي مما فيه الآن.

- (هـ): لنتناول أي شيء الآن بشكل سريع ثم نعود لما لدينا هنا.

همت السيدة (ن) بصنع بعض الساندويش الخفيف بما تبقى لديهم فيما عاد (هـ) للمراقبة بالمنظار، أما (س) فتوجه للهاتف رافعاً سماعته بمحاولة منه للتسلية قليلاً ليس إلا، حينها لاحظ أن الهاتف ليس كبقية الهواتف فهناك أرقام ناقصة ثلاث أرقام فقط التي تعمل بشكل جيد، أخبرهما بالأمر حاول ضغط الأرقام فقفز (هـ) بسرعة يمنعه: نحن لا نعلم ما الذي تؤدي له تلك الأرقام علينا الحذر.

- لكن ما دام الهاتف وضع هنا معنا هذا أن هذه الأرقام قد تكون لصالحنا.

- حسناً لنرَ ما توصلنا إليه، ضغط عليها بشكل متردد وقلق، وإذ بصوت شخص على الهاتف: ألو سيدة (د)، من المتصل هنا هل أنت بخير؟

أقفلا الهاتف على عجل ملؤهم الفضول حيال أمر هذا الهاتف ومن كان المجيب عليهم، مع من كانت تتعامل والدتهم هنا؟

عاد (هـ) ينظر إلى المنظار وأخيراً هناك حركة غريبة في القصر، كانت في علية القصر ثم انتقلت إلى بدروم القصر، كل ما رآه في هذه اللحظة عدد من الأطفال والنساء المقيدة بإحكام تستطف كمجموعة أغنام، يبدو عليهم الهذيان يتأرجحون يميناً ويساراً لا سيطرة على خطواتهم.

أما المفاجأة كانت هي ظهور السيد (ر) صاحب المكانة الرفيعة الذي كان يعمل لديه مع الطبيب وصاحب مطعم العائلة، بينما كان مدير مركز الشرطة يقف في باب الفيلا يحرس المكان، بنفس اللحظة سمع ضجيج بالفيلا ينبئ عن وقوع قريب لهم!

التزم كل منهم الصمت في خوف ويأس شديدين موقنين أن لا خلاص لهم وأن نهايتهم اقتربت لا محالة، نظر كل منهم في عين الآخر وكأنهم يودعون بعضهم بعض، في الوقت الذي سمع صوت نقر على الحائط المتحرك.

نظروا إلى شاشة المراقبة، ليروا ما لذي فاتهم في وقت تلهيهم بالمنظار والهاتف وغيره، مع تكرار النقر رأوا على الشاشة سيارة عامل بسيطة مهترئة، نزل منها عدد من الأشخاص فيما بقيت سيارة أخرى تركن بعيداً يقف أمامها رجل أخر، يتصنع وجود عطل في سيارته، نظر كل من (هـ) وأخيه والسيدة (ن) محاولين التعرف على أحدهم، ولا فائدة فجميعهم أشخاص غرباء على الأغلب لا ينتمون للمجموعة بصلة ورغم ذلك لا

يستطيع أحد منهم بإعطاء الثقة لغرباء، يجهلون إلى أي جهة ينتمون، على الأقل ليس الآن.

انتظرا حتى يتضح معهم الوضع، استمر النقر لأكثر من عشر دقائق وعندما لم يجيبا، رن الهاتف الذي بالغرفة اقترب منه (س) على عجل رفع السماعة بصمت: أرجو الإجابة إن كان هناك أي أحد، سيدة (د) أنت بأمان أجيبينا فقط.

- سيد (س): من المتكلم؟

- سيدي افتح الباب لا داعي للخوف أنتم بأمان الآن، لكن يجب التحرك على الفور لاستغلال انشغالهم لصالحنا كما أن الوقت المهم أوشك بالاقتراب يجب أن نكون متفرغين له وعلى استعداد تام.

- كيف لنا أن نثق بك دون أن نعلم مع من نتكلم؟

- سوف تفهم الأمر لاحقاً، اطمئن أمك صديقة لنا مخلصة.

اتجها إلى الباب تساعدا لرفع الثقل عنه وما كادا يرفعان ما عليه إلا فتح وظهر بعض الرجال بمسدسات على جنوبهم، يرتدين لباس عمال بسيط المظهر، صعد إليهم الرئيس أولاً على الفور، أظهر شارة تدل على انتمائه إلى جهة حكومية سرية، اتجه إلى الشابين: يجب تجميع كل ما هو مهم نحن على اطلاع بما يحدث هنا، فقط ساعدانا ولنذهب بسرعة.

صعد بعدها ثلاث رجال إليهم بحركات رشيقة وسريعة تم تجميع كل الأدلة التي وجدت من سيديهات وأشرطة وأوراق، كما تم سحب الحاسب وشاشة المراقبة والمنظار وأي شيء يدل على وجود أمر مهم في هذه الغرفة ولم يبقَ بها إلا الاشياء العادية من سرير وغيره.

حمل الرجال كل شيء، وفي أقل من نصف ساعة كانت الغرفة خالية منهم جميعا.

كانت السيارتان على رغم منظرهما الريفي القديم إلا أنهما مظللتان بعاكس يمنع رؤية ما بداخلهم، جلست السيدة مع الشابين في الخلف ومعهم رجل، وفي أمام السيارة ثلاث رجال يبدو عليهم منظر ريفي لا يثير شك أحد، ولحقت بهم السيارة الأخرى بعد خمس دقائق من مسيرهم.

سارت السيارات لفترة طويلة لا يعلم أحد من الشابين والسيدة إلى أين قد أخذوا، بعد فترة مطولة توقفت السيارات في مكان بعيد عن القرية في أحد الجبال المرتفعة التي تكشفها بأكملها، نزلوا منها وحملت الأغراض إلى منزل بسيط ريفي وتم اصطحابهم إليه، عندما دخلاه أرشدوهم إلى درج صغير يؤدي لأسفل المنزل كقبو عادي، ولكنه مجرد تجمع للجهة الرسمية، كانوا العين العادلة التي تلاحق تلك المافيا.

نظر رئيسهم إلى السيدة والشابين: يمكنكم أن تستريحوا قليلاً وبعدها نتحدث.. أنتم هنا في أمان تام، جيد أن أحدكم قام بالاتصال بالرقم وإلا كانوا على وشك القبض عليكم وحينها لن يستطيع أحد الوصول إليكم، إنهم سريعو العمل فيما يتعلق بإخفاء ما يشكل عليهم أي خطر.

ذهب الشابان للغرفة المشتركة بينما أُعطيت السيدة غرفة خاصة لها، في هذا الوقت كانت المراقبة في أشدها على القصر وبدأ الرئيس وجنوده بتفحص الحاسب وما وجد للآن، وبقي بعض الرجال عاكفين على حراسة المكان.

بعد أكثر من خمس ساعات أمر الرئيس بإيقاظهم وإحضارهم على الفور، سارع رجاله بإحضارهم، جيد أنكم أتيتم بسرعة هل لأحدكم أن يخبرني عن السرداب الذي في الأرض؟

سألهم الرئيس وكأنه بدأ بتجميع خيوط مهمة، استدار (س) إلى أخيه بنظرات حائرة إن كان من الصحيح الثقة بشكل تام به، يطلب منه تشجيعه ولكن يعلم تماماً أنهم لا يملكون إلا هذا الحل في الوقت الراهن.

- أجاب (س): نزلنا إليه أنا وأخي بالفعل، كان هناك فرن حطب كبير للتخلص من النفايات كما كان يوجد أقفاص وثلاجات كبيرة والكثير من الأجهزة والأسرّة، هذا ما استطعنا رؤيته قبل أن نخرج سريعا.

- لم تحاولان معرفة ما في الأقفاص؟

- مطلقاً، للصدق شعرنا بالخوف.

- (هـ): ولكن السرداب كان ممرا كبيرا جداً باتجاه مطعم العائلة، هذا كل ما استطعنا معرفته.

- عائلة (إد) تلك العائلة الغريبة التي أتت للقرية بشكل مفاجئ، لا أحد يعرف أصولها ومن أين أتت وكيف استوطنت هنا، السيد (ر) هنا أيضاً، أتى في ليلة أمس للقرية بشكل عاجل وهذا ما جعلنا نتحرك الآن، جميهم هنا لا بد أن هناك ما يقومون بتجهيزه.

- (هـ) رأيتهم عبر المنظار كان السيد (ر) والطبيب وصاحب المطعم، كما كان مدير مركز الشرطة يقف على باب القصر يحرسهم.

- سوف يقعون قريباً، اقتربت نهايتهم.

دخل أحد الجنود بشكل مسرع يلهث من كثرة الجري، سيدي علينا التحرك، قاموا بسحب عدد من الأشخاص خارج القصر إلى العيادة ولكن اختفى الجميع بشكل مفاجئ حتى المطعم مقفل لا يوجد به أحد، يجب معرفة أين ذهبوا بهم، كما توجهت إلى الفندق كان هناك خطب ما في الطابق العلوي.

- اطلب المساندة حالاً وليستعد الجميع سوف نتوجه للفيلا، سيدة (ن) سوف تبقين هنا فيما سير افقاننا السيدين، خمس دقائق فقط أريد الجميع في السيارات.

ركب الجميع السيارات متوجهين إلى الفيلا واستدلا على مكان السرداب، فتح الباب بهدوء ونزلوا مداهمين المكان كان هناك بعض العمال الضعفاء يجهزون المكان وأشعلوا الفرن، ألقوا القبض عليهم دون إحداث ضجيج و انتظروا حتى قدوم أشخاص أخرين، بعد فترة جاء رجل بثياب ممرض يقود مجموعة من الناس، كانت نفسها تلك المجموعة من النساء والأطفال الذي رآهم (هـ) وفي نفس الوقت كان الدعم قد داهم العيادة والمطعم والقصر بانتظار أي حركة أو إنذار، عندما دخل صف الأطفال والنساء وأرسل الرئيس رسالة البدء للبقية ودخل الجميع.

في العيادة وجد ممرسري في غرفة الفحص خلف خزانة الأدوية، وفي المطعم وجد نفس الممرداخل المطبخ تحت خزانة متحركة للأواني، وفي القصركان القبو مجرد ممرأيضاً، دخل الدعم من كل جهة بهدوء وتروٍّ وفي نفس الوقت بقي رئيس القوات ينتظرفي ساحة السرداب التي وصل إليها رجاله، اهتموا بأمر الموجودين وضبط النظام وبدأ الرئيس والسيدان بتفحص المكان، كانت الثلاجات مليئة بأعضاء مختلفة من الأيادي للأرجل وغيرها من الأعضاء الخارجية، إلى الكلى والقلب والمزيد من الأعضاء الداخلية.

أما بالنسبة للأقفاص فقد امتلأت بأناس باتوا حكراً لعالم الضياع، فلا هم ينتمون إلى البشرية ولا هم بحيوانات، حقنوا بأكثر من جين وأجريت عليهم الكثير من التجارب البشعة والخطرة.

في هذه الأثناء كشفت الغرفة الفخمة في برج الفندق المقامة خصيصاً للاجتماعات المهمة، تم اقتحامها للإمساك بمدير الفندق مع رجل صاحب لكنة غريبة في خضم التوقيع على عقود شرائية لكمية كبيرة من الأعضاء البشرية.

أما في السرداب فمع تقدم جميع أفراد الدعم والجنود تم محاصرة من فيه فوراً، ودفع الجميع إلى مكان تواجد الرئيس، كانت السيدة (م) هي من تدير العمليات التي تجرى بالسرداب، ألقي القبض على الجميع وتم نقلهم إلى سجن سري خاص بأصحاب الجرائم الكبرى والمافيات من هذا النوع، وتم نقل كل من كانوا في الأقفاص إلى مشفى خاص مغلق لتوفير الأمان فاغلبهم باتوا كالوحوش مصدرا للخطر، البعض تأثر بالمعالجة ولكن ما حدث قد حدث والبقية توفوا.

ضجت القرية في اليوم التالي بالأمور الغريبة التي بدأت تحصل، أمر بهدم القصر كما بدء بكشف الأرض الشاسعة الممتدة بين حديقة الفيلا والمطعم وعيادة الطبيب والقصر، تم إغلاق الفندق كما أغلقت عيادة الطبيب والمطعم.

في حين قرر السيدان (س) وأخوه ترك الفيلا بشكل نهائي والانتقال إلى بيت بسيط عادي في قلب المدينة.

بعد فترة وجيزة توجه رئيس القوات السرية بزي مدني لزياتهم حاملاً معه معلومات مهمة.

- رئيس القوات السرية: مرحباً، كيف الحال؟

- أهلاً وسهلاً بك سيدي تفضل.

- لقد أتيت إليكم اليوم لإطلاعكم على معلومات مهمة لم يسعنا الوقت أيضاً لإيضاح بعض الأمور.

- (هـ) حسناً سيدي كلنا آذان صاغية لك، بالأول دعنا نقوم بضيافتك.

- سيدة (ن): ما ترغب بشربه سيدي؟

- فنجان شاي رائع جداً الآن، حسنا يبدو أن والديكما تورطا في أمر خطير هذا بات واضحا لكم، والدك تم استغلاله لكونه طبيبا جراحا ممتازا، لا أنكر أن والدك كان سيء التوجه في تلك الأيام إلا أنه على ما يبدو لم يكن يعلم أن الأمر سوف يصبح أكبر مما يبدو عليه مستقبلاً، السيدة (م) اتضح أنها مجرد طرف في الأمر لا تمت بصلة قرابة للرئيس كما تدعي بشكل عام، كما اتضح أن عائلة (إد) هي المنظم الرئيس لكل تلك المافيا، أما الرئيس الأساسي فلم نستطع للآن وللأسف الوصول إليه، كل ما نعرف عنه أنه ربّ تلك العائلة، ويقيم في دولة أجنبية تحت

اسم مستعار، الجيد أننا بصدد التوصل إليه والتعرف على هويته لإلقاء القبض عليه، نأمل أن يكون ذلك قريباً، أما عن معرفتنا بتلك الغرفة والهاتف عندما ازدادت الأمور تعقيداً فقد لجأت أمك إلى الاتصال بمركز القوات الداخلية في المدينة محاولة إيجاد حل ينجيهم من هذا، ويبدو أن أباك شعر بالخطر أيضاً فسارع لإنجاز هذه الغرفة وساعدناه ببنائها دون معرفته بهويتنا الحقيقية بالاتفاق مع والدتكم، ولكن للأسف.. انضمام والدتك لنا دون علم والدك كُشِف بطريقة ما، فما كان من والدك إلا أن حبسها في الفيلا ولم نستطع التدخل مطلقاً ولم نعد نعرف شيئا عنها، إلى أن اجتمعنا بكم حينها أخبرتني السيدة (ن) أنه تم قتلها وإخفاء جثتها.

أما بالنسبة لأبيك بعد سفركما إلى المدينة بفترة فكان تورطه مع المجموعة وصل لحدٍ عميق لا يمكنه التراجع عنه حتى لو رغب بذلك، اشترك بأحد العمليات الكبيرة في تلك الأيام، وعلى ما أظن أرادت المجموعة التخلص منه لإزاحته عن الطريق، كونه بدأ بفقدان السيطرة على نفسه، بالإضافة إلى خوفهم من أن يحذو حذو زوجته، لذا أرسلوه للعملية التي اصطنعوها مع لفت أنظارنا إليهم بشكل سطحي وبالفعل استطاعوا في تلك الايام من خداعنا والغدر بوالدك وتم إلقاء القبض عليه، وبعد فترة من سجنه فقد عقله كاملاً وأصيب بالجنون وتم وضعه بمشفى الأمراض العقلية.

أما عنك سيدة (ن) فمن حسن حظك أن تعاونك معهم كان محدوداً ومر عليه أكثر من عشريون سنة لذا سقطت عنك كل التهم، أرجو لك بداية طيبة منذ اليوم، على العموم إن أردتم رؤية والدكم فلا أمانع ذلك.. أستطيع تدبير زيارة لكم.

- (س): أود رؤيته حقاً، ماذا عنك أخي؟

- لا أحبذ رؤيته بتلك الحال، لا أعلم كيف ستكون ردة فعلي، إنه أمر شاق علي، اذهب أنت فقط إن أردت ربما تخبرني لاحقاً بنتائج زيارتك له.

- حسناً سأذهب وحدي، متى أستطيع رؤيته، سيدي؟

- ربما في الغد نذهب سوية، ربّت على كتفهم مودعاً لهم وذهب.

في صباح اليوم التالي ذهب (س) إلى لقاء والده بعد كل تلك الأعوام، وبعد ما حدث أخيراً سوف يرى والده، دخل إلى المصحة ينظر إلى الأبواب والنو افذ يرى تلك الأناس التي أسرتها هذه المشفى، وصل إلى غرفة بباب عريض وتوجه إليه الممرض: إنه هنا أريدك المحافظة على مسافة جيدة بينك وبينه، حاول ألا تتكلم كثيراً حتى لا تستفزه إياك أن تحدثه عن أي شيء مما كان في الماضي.

- أفهم هذا شكراً لك.

- هناك زر في الحائط بقرب الباب في حال حدوث أي شيء أرجو الضغط عليه، مع الوقوف لجانبه فلن يستطيع الوصول إليك فهو مكبل اليدين والقدمين.

فتح الباب ودخل إلى والده نظر له طويلاً، كان هادئاً بارداً و ابتسم ابتسامة غريبة جداً: إذن هل انتهى الامر؟

صعق (س) من سؤاله، سحب الكرسي الموجود وجلس عليه متسائلاً: ماذا تقصد بانتهاء الأمر؟

- أمرهم انتهى، قضي عليهم إذن أشعر بذلك فذاك الممرض الحقير ما عاد دخل علي بشكل مفاجئ واسترحت من تلك اللقاحات التي ملأت جسدي، كانت مؤلمة جداً إلى جانب أنها كانت تثير الكثير بنفسيتي وتدفعني للجنون، يا إلهي هي أشبه بنار توقد بداخلي.

- أبي هل أنت تعي ما تقوله الآن؟

- أبي... منذ زمن لم أسمع تلك الكلمة، أظن أني لا أستحقها، وفرها لغيري فقط.

- نظر للكاميرا في الغرفة تحركت فجأة وأشغل الضوء الأحمر فيها.

بعدها فقد عقله وبدأ بالجنون والقفز والصراخ. تعجب (س) في البداية ولم يفهم ما يحدث، الآن كان بخير.. لمَ انقلب حاله فجأة؟

بدأ يصرخ الأب بصوت عالٍ: بعيداً بعيدا لا عودة، بعيداً بعيدا لا عودة، نظر (س) للكاميرا بطرف عينه وإلى أبيه نظرة تفحص واكتشاف

وتمتم في نفسه: فهمت، لا داعي للصراخ، طقطق رأسه وتراجع إلى الحائط وضغط على الزر نظر لأبيه نظرة توديع، وفتح الباب وكانت هذه أخر مرة يرى والده بها.. يعلم هذا جيداً.

أقفل الباب ورحل ولم يعد مطلقاً بعدها للبعيد البعيد لا عودة، علم أن زيارة والده سوف تفتح أبوابا ضده، كانت كلمات أبيه تدل بوضوح على سلامته إلى أنه فضل تصنّع الجنون حتى لا يلقى أحد المصيرين مصرع زوجته أو الإعدام، كما بدأ من الواضح أن رئيس المجموعة خارجاً أقوى مما بدا له، أياد تمتد في كل مكان.

عاد للمنزل مقرراً أن يقفل باب الماضي من جديد وأن لا يتكلم بأي مما حدث معه اليوم، عاد ليعمل في عمل بسيط وتزوج وأسس عائلته، وفعل أخوه بالمثل بعيداً تماماً عن أي متاعب أخرى.

سبعة أبواب مغلقة واحد فيه جواب والستة تدخلك في الخطر، أحياناً ولسبب ما من الأفضل أن تبقى بعض الأبواب مغلقة!

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

- نشر كل إنتاج إبداعي ذي جودة عالية و أفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017